اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

يعقوب الشارونى

تنمية عادة القراءة عند الأطفال

اقرأ

سلسلة ثقافية شهرية

تصدر عن دار المعارف

{٤٨٣}

رئيس التحرير

رجـــب البنـــا

obeikandl.com

نائب رئيس التحرير
حمدي عباس

مدير التحرير
كريمة متولي

مدير فني
وتصميم الغلاف
شريفة أبو سيف

الناشر: دار المعارف– ١١١٩ كورنيش النيل– القاهرة ج. م. ع.
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧– فاكس ٥٧٤٤٩٩٩ E –mail: maaref@idsc.net.Eg

obeikandl.com

يعقوب الشاروني

تنمية عادة القراءة
عند الأطفال

الطبعة الرابعة

دار المعارف

obeikandl.com

اقرأ

أحلام شهر زاد

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها، لم يفكروا إلا في شيء واحد، هو نشر الثقافية من حيث هي ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية. وأن ينتفعوا وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التي نحياها.

طه حسين

دار المعارف بمصر

أحلام شهر زاد – العدد الأول من سلسلة اقرأ الشهرية صدر عام ١٩٤٢

obeikandl.com

مقدمة

الطفل والقراءة

أصبحت القراءة في نظر المدنية الحديثة، لها نفس الأهمية الحيوية التي للمشي أو النظر أو الكلام. والذي يقرأ، ويفهم ما يقرأ في سرعة كبيرة، يمكنه أن ينهي من الأعمال أضعاف ما ينهيه القارئ العادي.

والقراءة هي أساس التعلم بمعناه المعروف، فالشخص الذي يقرأن شخص نام وقدر على استمرار النمو، فالقراءة مظهر هام من مظاهر الشخصية، وهي عامل هام من عوامل نموها.

وبالإضافة إلى هذا، فالقراءة مفتاح أساسي من مفاتيح المعرفة، إن لم يكن أهمها جميعًا، تفتح أمام الإنسان آفاقًا واسعة شاسعة.

وإذا كان نعاني في مجتمعاتنا العربية من ظاهرة انصراف الراشدين عن القراءة بوجه عام، وعن القراءة الجادة المنتجة بوجه خاص، وعن قراءة المواد العلمية بوجه أخص، فإن ذلك يرجع، في معظم أسبابه، إلى مرحلة الطفولة، التي لم يجد فيها أطفالنا راشدين يكونون قدوة لهم في الاهتمام بالقراءة، واحترام الكتاب، ومد يد العون لهم في مراحل القراءة الأولى. ولم يجدوا فيها مكتبات قريبة وكثيرة ومفتوحة، تجعل العثور على الكتاب الذي يناسب اهتمام كل طفل أمرًا يسيرًا، ولم يجدوا الكتب الجميلة المشوقة المناسبة في لغتها وموضوعاتها لمختلف الأعمار، بحيث نجعل القراءة عملية ممتعة محببة، وتصبح بالتالي عادة متأصلة تصاحب الإنسان في مختلف مراحل عمره.

obeikandl.com

لذلك لابد ا، تتضافر جهود المجمع كله، مع أجهزة النشر والإعلام والتربية والثقافية، ليس فقط لتوفير الكتب والمكتبات للأطفال، بل أيضًا لتنبيه الراشدين إلى دورهم الأساسي في تكوين عادة القراءة المنتجة المفيدة لدى الأطفال.

فالطفل في العصر الحديث يبدأ تعلم القراءة منذ طفولته الأولى، لكنه لا يتعلمها منذ سنواته الأولى بالصورة التي نعرفها، إنما يستعد لها، فكما أن الطفل لا يتعلم الجري إلا إذا استعد له بالمشي، ولا يتعلم المشي إلا إذا تكون عنده الاستعداد لتعلمه، فإنه لا يتعلم القراءة إلا إذا تكون عنده الاستعداد لتعلمها.

ومن هنا كان الاهتمام ضرورياً بكتاب الطفل، الذي يناسب مراحل العمر المختلفة، حتى ينشأ الطفل محبًا للكتاب، ثم مقبلا على القراءة عندما يتعلمها.

إن هناك من يتصور أن الطفل لا حاجبه به إلى الكتاب إلا بعد دخوله المدرسة وتعلمه القراءة. وما أشد خطأ هذا الاعتقاد، فالطفل الذي نتركه بغير كتاب حتى سن المدرسة، سيواجه صعوبات كبيرة في علاقته بالكتاب.

فالأطفال، قبل أ، يبلغوا سن السادسة بوقت طويل، يجب أن يكونوا قد اكتسبوا خبرات متنوعة في علاقتهم بالكتب والمطبوعات المختلفة، وذلك من خلال بيئتهم الأولى، وهي الأسرة.

فالأطفال عندما يولدون في بيئة تشجع على القراءة، فيجدون حولهم كثيرًا من الكتب الخاصة بهم، والتي تقترب من الألعاب، ويجدون الوالدين والراشدين يقرءون، وينشئون في منزل به مكتبة لحفظ الكتب، ويشاهدون الكبار يعاملون الكتب بعناية واهتمام، مع تخصيص مكان يحفظ فيه الأطفال على القراءة بنفس الطريقة التي تنمو بها قدرتهم على الكلام.

إن مثل هؤلاء الأطفال، عندما يذهبون إلى المدرسة، وتبدأ فترة تعلمهم القراءة بالمعنى المدرسي، سيجدون لديهم قائمة كبيرة من الأفكار والمدركات والاتجاهات النفسية التي كونوها نحو القراءة، فيقبلون في سعادة ورغبة على المطالعة، كما يكونون قد اكتسبوا كثيرًا من الخبرات التي تعنيهم على فهم ما يقرءون.

إن هناك دافعًا يدفع الأطفال إلى الاهتمام بالكتب، ويبدأ هذا الدفع في مرحلة مبكرة، بعد اكتمال العام الأول من عمر الطفل، ثم يستمر إلى أن يتعرف الأطفال على معاني الرموز المكتوبة في سن السادسة. علينا أن نستثمر هذا الدافع، بتقديم الكتب المناسبة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل.

ففي مرحلة ما قبل القراءة، تقترب الكتب من الألعاب، وتساهم الحواس المختلفة في التعرف عليها، فهناك الكتب المصنوعة من القماش أو الورق المقوى، حتى تقاوم عبث الأطفال، وطريقة تعاملهم العنيفة مع الأشياء، وهناك كتب فيها أجزاء تتحرك أو أجزاء تتجسم، إذا فتحت الصفحات، وكتب تصدر عن أغلفتها أصوات موسيقية إذا ضغطنا عليها.

وتتميز كتب الأطفال باعتمادها الرئيسي على الرسوم البسيطة الملونة الواضحة، التي تقوم بدور أساسي في جذب اهتمام الطفل. فإذا كانت كتب الراشدين تعتمد على الكلمة، فإن الصور والرسوم تقوم بالدور الرئيسي والأساسي في كتب الأطفال، خاصة صغار السن منهم.

ذلك أن حصيلة الأطفال اللغوية لا تمكنهم من فهم كل الموضوعات التي نقدمها إليهم. هذا بالإضافة إلى اعتمادهم على البصر في التعرف على العالم المحيط بهم، لذلك يجب أن تعتمد كتبهم اعتمادًا كبيرًا على الصور والرسوم، مع مراعاة أسلوب الرسم الذي يناسب كل مرحلة سنية.

كذلك فإن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها كل ما نريد تقديمه للأطفال، سواء كان ذلك قيمًا دينية أو أخلاقية، معلومات علمية أو جغرافية أو تاريخية، توجيهات سلوكية أو اجتماعية.

إن حب الأطفال للقصص والحكايات، أمر معروف لا يشذ عن طفل، فالأسلوب القصصي بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث، يمكن أن يكون الوعاء الذي نصب فيه ما نريد تقديمه للأطفال كافة.

كذلك فإن لكل مرحة من مراحل عمر الطفل مجموعة من الكلمات يكون الطفل قد اكتسبها وتعلمها، ثم تزداد حصيلته بانتقاله من مرحلة إلى مرحلة أخرى، ولن يستطيع الطفل الإقبال على قراءة ما بوجه إليه من كتب، إلا إذا كانت مكتوبة في حدود الحصيلة اللغوية للطفل الذي يقرأ الكتاب، وإلا وجد القراءة عملية صعبة غير مفهومة، مما يؤدي به إلى الانصراف عن القراءة، لما يحس به من إحباط ومشقة.

ولعل من أهم ما يصادفنا عندما نتحدث عن الطفل والقراءة، هو افتقادنا لما نسميه "قاموس الأطفال". فلا يوجد حتى الآن، على امتداد الوطن العربي، أية مؤشرات تعاون كاتب الأطفال على اختيار الكلمات والألفاظ المناسبة للسن التي يكتب لها.

وإلى أن يوجد لدينا ما نسميه "قاموس الأطفال"، فإن على من يكتب الأطفال أن يختار الكلمات المناسبة لسن الأطفال الذين يكتب لهم. فلابد له أن يكون صاحب خبرة في القاموس اللغوي الذي يستخدمه هؤلاء الأطفال، وأن يكون عارفًا بالألفاظ المتداولة بينهم، ومدلولها عندهم، وأن يستخدمه كلما أمكن، الكلمات ذات المضمون المادي الملموس أكثر من الكلمات ذات المعنى المعنوي، فيختار من الألفاظ ما يثير المعاني الحسية المتعلقة بالبصر والسمع والحركة واللمس والذوق والشم، ذلك أن الأطفال يتعرفون على العالم المحيط بهم بحواسهم، أكثر مما يتعرفون عليه بمجرد الكلمات.

obeikandl.com

سلوك الأطفال نحو الكتب

ينقسم سلوك الأطفال نحو الكتاب، في مرحلة ما قبل القراءة، إلى عدة مراحل، ويتوقف العمر الذي تظهر خصائص كل مرحلة، ومعدل سرعة هذا الظهور، على اهتمامات الطفل، وقدراته الطبيعية، وعلى الكتب التي توجد في محيطه، كما يتوقف على البالغين الذين لديهم من الصبر والأناة ما يجعلهم يتحدثون إليه عما في تلك الكتب، أو يقرءون له فيها.

مرحلة التناول باليد:

في العام الأول من حياة الطفل، يظهر الصغير اهتمامًا عابرًا بالكتب، إنه في هذه السن ينظر إلى الكتب كما ينظر إلى أي شيء حوله: يضعه في الفم، ويمسكه باليد، ويسقطه على الأرض، وينتزع الورق ويمزقه، ويصغى لصوت الورق يثني ويتمزق، ويتأمل ما يحدث لقطعة الورق عندما يضغط عليها بيديه الصغريتين، إنه يكتسب بهذا خبرة أولية في عالم الورق والكتب.

ولإتاحة الفرصة أمام الطفل لاكتساب هذه الخبرة، يمكن أن نضع بين يديه أوراقًا من مجلات قديمة، يحسن أن تحتوي على صورة ملونة، إن صورة براقة الألوان قد تجذب انتباه الطفل في هذه السن، فيمنحها شيئًا من اهتمامه، لكن لا يسهل عليه في هذه المرحلة المبكرة أن يتعرف حتى على صور الأشياء البسيطة المألوفة، ولا تثير الحروف أي شيء من التفاته.

obeikandl.com

مرحلة الإشارة إلى الصور:

ومن بداية الشهر الخامس عشر من عمر الأطفال، ينشأ لدى الصغير اهتمام شديد بصور الكتب. وتقوم الأم بدور رئيسي في هذه المرحلة، فتقوم بتقليب صفحات الكتاب في حين يتفرج الطفل عليها. وقد يهتم الطفل هو نفسه بعملية التقليب، لكنه لن يستطيع أن يقلب صفحة بعد أخرى، بل يعود على إلى عملية التمزيق.

وأفضل الكتب لهذه السن هي المصنوعة من صحائف من القماش، أو أي مادة تقوى على تحمل ما يوجهه الطفل إليها من ضرب ولكم وعض، كذلك الكتب التي تقترب في شكلها من الألعاب، كأن تكون لها عجلات، أو بها أجزاء تتحرك.

وكتب هذه المرحلة لا تحتوي إلا على صورة مكبرة، ملونة بألوان زاهية للأشياء البسيطة المألوفة في محيط الطفل، من حيوانات وألعاب وأدوات الاستخدام اليومي مثال الكرة أو القط أو المقعد أو الملعقة.

وسوف يستمتع الطفل بالتطلع إلى تلك الصور، ويربطها بخبراته القليلة، فالملعقة قد يطلق عليها اللفظ الذي يستخدمه في الإشارة إلى الطعام، مثل "مم"، والقطة التي يسمها "بس"، وذلك عندما يصل إلى مرحلة التي يستطيع فيها نطق تلك المقاطع.

وسيتذوق الطفل أي صوت تحدثه أمه مما يناسب تلك الصور، مثل تقليد أصوات الطيور أو الحيوانات، وسوف يحاول أن يقلد بحماس ما يسمعه من أمه من أصوات. وعلى الأم أن تحدث الطفل عن الصور بكلمات بسيطة، وعبارات مختصرة، مع تجنب أن تتحدث معه بطريقة نطق صغر الأطفال للكلمات، وذلك حتى يعتاد الصغير النطق الصحيح للكلمات والعبارات، مما يساعده في سنواته المقبلة، على سرعة إتقان التعبير عن نفسه بالكلمات الصحيحة، ينطقها بطريقة سلمية.

ومتى استطاع الطفل أن ينطق بعض الكلمات، فيجب تشجيعه لكي يكررها وفي هذه المرحلة، أيضًا، لا تثير الحروف المكتوبة التفات الطفل.

مرحلة تسمية الأشياء:

ومن بداية الشهر الثامن عشر، يبدأ الطفل في استعمال كلمات نابعة من نفسه مع الصور، وهذا يعاونه على زيادة حصيلته اللغوية. إنه يشير إلى الصور ويسميها: هذا قط.. هذه زراف.

إنه يسأل الكبار عن الصور: "ما هذا؟" أي أن الكتب بدأت تصبح لديه وسيلة لاكتساب المعلومات، كذلك يقلد الأطفال أصوات الحيوانات التي يرى صورها.

وفي هذه المرحلة، يكمن أن يبدأ الطفل في إدراك الجهة التي تتجه إليها الصور، فلا يضعها أمامه مقلوبة. كما يأخذ في تعلم ضرورة المحافظة على الكتاب وعدم تمزيق صفحاته، ويلاحظ أن تكون عادات التعامل مع الكتاب بأسلوب يحافظ عليه، هي أمور يقتدي فيها الأطفال بمن يحيط بهم من الراشدين، ولا يتعلمونها إذا ابتعنا معهم أسلوب النصائح والتوجيهات المجردة.

مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة:

تبدأ هذه المرحلة بعد تمام عامين من عمر الطفل وتمتد إلى ثلاث سنوات، وفيها يسمى الطفل عملية النظر إلى الكتاب "قراءة"، ويستمر في حفظ أسماء الصور والأشياء التي بها، كما يجب أن يسمع قصة عن كل صورة.

ولابد من الاهتمام في هذه المرحلة بأن نقرأ للطفل ما في كتبه من قصص بصوت مرتفع. إننا نثري بذلك ثروته اللغوية ونشجع محاولاته للتعبير عن نفسه وليس مهما عدم قدرة الطفل على نطق كل الكلمات التي نقرؤها له، ففي هذه السن يستطيع الطفل أن يفهم كلمات أكثر من الكلمات التي ينطقها، لذلك يود الطفل في هذه المرحلة أن تعاد عليه قراءة نفس الكلمات، إلى أن يتقن ما به من كلمات.

ويمر الطفل بخبرة عاطفية ممتعة، عندما يجلس على ركبة أمه، مرة واحدة على الأقل في اليوم، وهي تقرأ له من كتاب يحبه، إن هذا يهيئ للطفل مستقبلا سعيدًا في صحبة الكتب.

ويجب أن نحذر من إعطاء الطفل في هذه المرحلة كتبًا كثيرة جديدة مرة واحدة، خوفًا من أن يختلط عليه الأمر، ويفقد الاهتمام بها جميعًا.

وفي هذه المرحلة، يستطيع الأطفال أن يعرفوا ويحترموا القواعد التي تمنع أخذ الكتب من أماكن معينة، والتي توجب إعادتها إلى أماكن معينة، لكن لا يجب وضع الكتب الخاص بالأطفال بعيدًا عنهم، بل يحسن وضعها بحث يمكن أن يرى الطفل أغلفتها الكاملة.

وفي هذه السن، يبدأ الأطفال في إظهار إدراكهم للحروف، باعتبارها شيئا آخر يغطى جانبًا من صفحات الكتاب.

مرحلة البحث عن المعاني:

وتبدأ بعد عامين ونصف العام.. أو بعد ثلاث سنوات، وفيها تبدو الصور للطفل وكأنها أشياء حقيقة حية –فقد يمد يده ليأخذه شيئا من صوره، وقد يقبل طفلا في صوره، وقد يصدر أصواتًا تدل على المشاركة الوجدانية، مثل "مسكين عادل.. وقع على الأرض. لاتبك" وقد يخلق لنفسه صديقًا يتخيله، ويكون مستمدًا من شخصية في الكتاب.

كذلك يزداد اهتمام الطفل بالكلام الذي يسمعه في أثناء النظر إلى الصور ويحفظه، وفي هذه السن، يحب الطفل الأغاني المسجوعة، ويهتم بالكتب التي بها معلومات عن أشياء يشعر بحاجته إلى أن يعرف شيئا عنها، مثل السيارات والطيارات والقطارات، وكذلك يخصص لنفسه مكانًا يحفظ في كتبه، وفي هذه المرحلة، فإن أشكال الحروف، وإن كانت تجذب اهتمامه، فإنها لا تستوقفه، بل يمر عليه مرا.

مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف:

وبعد العام الثالث أو في منتصف العام الرابع من حياة الطفل، يصبح الصغير قادرًا على الاشتراك مع غيره من الأطفال في الاستمتاع بالكتاب، ويأخذ في اكتساب القدرة على تفسير الصورة والتعليق عليها. إنه يمكن أن يتوقع حوادث معينة وأن يقوم بتعليل حادث. كذلك يمكنه الإصغاء إلى عبارات مكتوبة لا تصاحبها صور، ويمكن أن يعيد سرد القصص البسيطة جدًا، والتي تساعد الصور الواضحة على سردها.

وفي هذه المرحلة تكون صور الكتب وسيلة هامة وأساسية لإثارة أحاديث متبادلة بين الأطفال والكبار، تتناول مختلف الموضوعات، وتحفز النمو العقلي للطفل، مع توسيع مداركه، وزيادة ثروته اللغوية. وهذه كلها أسس مهمة يعتمد عليها، تفتح إدراكه العام، وما يترتب عليه من سرعة تقدمه في القراءة في مستقبل أيامه.

إن صور الكتب التي توضع لهذه السن، تضع أمام الطفل أسئلة تحمله على أن يتعرف على الفروق بين الأشياء، كأن يميز، بالتطلع إلى صور الحيوانات، بين ما يعيش منها في البيت وما يعيش منها في الحقل، أو يتعرف على ما هو طائر وما هو حيوان، أو يتعرف على ألوان ما يوجد في الصور من أشكال، أو يقارن الأشكال والأوضاع، فيحدد مثلاً الصغير والكبير والمتشابه والمختلف.. إن القدرة على تمييز الاختلافات في الأشكال التي في الصور، ستكون عونًا كبيرًا للطفل فيما بعد، عندما يبدأ تعلم القراءة.

obeikandi.com

كما أن الكتب الموجهة للأطفال في هذا المرحلة يمكن أن تحتوي على صور متتابعة، قليلة العدد، تحكي قصة بدون أن يصحبها نص مكتوب، فالأطفال يجب أن يتعلموا في هذا السن المبكرة أن الصور المتعاقبة قد تمثل قصة. وقد يجد الآباء والأمهات من الضروري أن يبدءوا هم بحكاية قصة أو اثنتين في مجال الحكايات المكونة من صور متسلسلة، ولن يطول الوقت قبل أن يرغب الأطفال –كل حسب إمكاناته– في أن يقوموا هم بحكاية القصة من صورها المتعاقبة.

ولكن على الوالدين أن يتذكروا دائمًا أن نمو الأطفال، وتطورهم بتفاوت نوعًا وسرعة، فلكل طفل أوضاعه وحدوده، وعلى الوالدين إلا لم يرد الأطفال بإجابات صحيحة عن الأسئلة التي تطرحها الكتب، فبالمعاونة والتوجيه الصحيح سيفعلون ذلك عندما يستطيعون.

وفي هذه المرحلة يبدأ الاهتمام بأشكال الحروف بمثل الاهتمام بالصور.

مرحلة ما بين الرابعة والخامسة من العمر:

بعد الرابعة من العمر وإلى الخامسة، يجد الطفل متعة في مصاحبة غيره، لهذا تزداد مهاراته الاجتماعية، وتفوق اهتمامه بالكتب. وفي هذه المرحلة يجد الطفل متعة مهاراته الاجتماعية، وتفوق اهتمامه بالكتب. وفي هذه المرحلة يجد الطفل متعة في كل ما يثير الضحك، خاصة في الصور الهزلية (الكاريكاتير)، وفي الكلام الساذج، حتى إذا لم يكن له معنى، مثل: الثعلب فات فات –ياطالع الشجرة هات معك بقرة– هات الخشبة حبشي. كذلك فإن الطفل في هذه السن، تصبح لديه القدرة على أن يحفظ القصص كلمة كلمة، وتكثر أسئلة الأطفال: "لماذا!؟"..."ماسبب؟".

وأطفال العامين الرابع والخامس يدركون أن هناك علاقة بين النص المطبوع والقصة، ويظنون أن كل ما يقوله القارئ مستمد من النص نفسه. وفي هذه المرحلة يبدأ الاهتمام الحقيقي بالقيمة اللغوية للكتاب، كما يجب الأطفال المكعبات التي توجد عليها حروف الكتابة.

ويلاحظ أنه في الفترة من ثلاث إلى خمس سنوات، يفضل الطفل القصص التي تدور حول الحيوانات، أو حول شخصيات في محيطه مثل الأب والأم والأخ، أو حول الأحداث اليومية التي يعرفها الأطفال كل المعرفة، مع تسمية كل شخصية بصفة يسهل عليه تمييزها، مثل "الدجاجة الحمراء" أو "ذات الرداء الأحمر".

كما يجب أن تكون الشخصيات في هذه القصص، حتى الجماد منها، متكلمة ولها أصوات وحركات، وأن تتضمن إيقاعًا في الكلمات أو الجمل. كما يحب الأطفال سماع تقليد أصوات الحيوانات والأشياء، وأن تركز القصة على الحركات، في جمل قصيرة وشخصيات قليلة، مع التكرار في العبارات والألفاظ.

ولمن هم قبل الخامسة، ليس من الحكمة أن نقص قصص الجنيات. ففي عالمهم تختلط الحقيقة بالخيال، فيجدون صعوبة في معايشة الساحرات والعمالقة، وسيصلون في سن السادسة وما بعدها إلى فسحة طويلة من العمر، يستمتعون فيها بهذه القصص، ويستفيدون منها أيضًا.

obeikandl.com

القراءة مجموعة مهارات

بعد المرحلة السابقة، سنجد أطفالا لديهم استعداد حقيقي لتعلم القراءة والإقبال على الكتب.

لكن القراءة في حقيقتها عملية معقدة، وليست مجرد التعرف على أسماء الحروف وكيفية نطقها، أو مجرد التعرف على شكل الكلمات ونطقها. إن عملية القراءة تتضمن –بالإضافة إلى ما سبق، وفي نفس الوقت– القدرة على فهم معاني الكلمات، وفهم معاني الجمل، والربط بين تسلسل الأحداث، مع القدرة على التركيز، والتذكر والاستيعاب، والنقد، وعلى إعادة التعبير عما نمت قراءته.

لهذا يجب أن نؤكد على أن الاستمرار في حب القراءة، والإقبال على الاطلاع، واحترام الأطفال للكتب، يجب أن تسبقه خبرات سعيدة، في بيئة تعمل على إنماء شخصيات ونحيطهم بالكتب المناسبة لأعمارهم، وتعطيهم المثل في أشخاص بالغين يهتمون بالقراءة، ويهتمون أن يقرءوا للطفل، وأن يزوده بكثير من الخبرات المختلفة، وأن يمنحوا الطفل فرصة الاتصال المباشر بالأشياء والحقائق، وذلك بتركه يلاحظ ويتعلم من خلال الرحلات والتجوال، وزيارات المتاحف والمصانع والحقول، ثم تركه يتحدث عما شاهد، فنشأ لديه ثروة لغوية، وتتكون لديه بذور مختلف الأفكار ووجهات النظر في الأشخاص والأشياء.

وعلينا أن نصبر على أسئلة، فإن سلوك الكبار نحو إجابة الأطفال عما يسألون عنه، من أهم وسائل تنمية قدرة الأطفال على فهم ما يقرءون.

obeikandl.com

كما ينبغي أن نعاون الطفل على أن يعبر بوضوح عما يحول في خاطره، وأن نظهر الاهتمام بمحاولته للتعبير عما يفكر فيه، ولنعاونه على استعمال الكلمات وعلى نطقها بدقة، وعلى أن يعتاد سماع القصص وأن يعيد روايتها بل يضيف إليها إذا أراد.

ولنتذكر أن الأطفال يرغبون في تعلم القراءة، لكن لنحذر أن ندفع الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة نحو تعلم القراءة، بل لنجعل جهودنا محصورة، في هذا الفترة، في إعداده للقراءة، بدون أن نخرج عن نطاق المتعة البريئة واللعب المسلي، ذلك أن تعليم طفل لم يسبق له التعلم أسهل كثيراً من استئصال عادة خاطئة نتيجة محاولة تعليم الطفل قبل السن المناسبة.

ويجب دائمًا أن ننظر إلى الخطأ على أنه خطوة طيبة على الطريق السليم، وأن نحذر تمامًا من السخرية بأخطاء الطفل اللغوية، لأن الخوف من الوقوع في الخطأ كثيرًا ما يعوق الأطفال عن التعلم.

ولنتذكر أن النضج الانفعالي عند الأطفال لا يستكمل حتى سن السادسة، بل أحيانًا حتى سن أكبر من ذلك، وبشكل يسمح بتكوين الروح الرياضية عندهم، لذلك يتحتم علينا تحاشى الالتجاء إلى المنافسة والمقارنة بين طفل وآخر، حتى لو كان أخاه، كوسيلة من وسائل الحفر في مجال التعليم.

ويجب اختيار الكتب المناسبة في موضوعها وصورها لكل سن، كذلك اختيار الكتب المناسبة في حجم الحروف، ذلك أنه قبل سبع سنوات، يصعب على الأطفال تركيز أبصارهم فترة طويلة على الأشياء الدقيقة، لذلك يجب في كتب مرحلة ما قبل المدرسة، أن تستخدم حروف الكتابة الكبيرة الحجم جدًا.

كما يجب تخصيص عدة أرفف في غرفة الطفل، لحفظ الكتب، وتدريب الأطفال على إعادة الكتب إلى مكانها بعد الانتهاء من "مطالعتها" أو بمعنى أدق، بعد مشاهدة ما بها من صور.

obeikandl.com

ما بعد تعلم القراءة

كما يرم الطفل بعدة مراحل قبل تعلمه القراءة، فإنه منذ أن يبدأ في تعلم القراءة، يمر أيضًا بعدد من المراحل، تصل به إلى مرحلة النضج.

مرحلة اكتساب العادات الرئيسة للقراءة:

وتمتد هذه المرحلة من سن السادسة إلى سن السابعة، أي خلال الستين الأولى والثانية من المرحلة الابتدائية، وفي هذه المرحلة يتعرف الأطفال على الحروف والكلمات والتراكيب، ويكتسبون القدرة على مزج الكلمات ببعضها لتكوين الجمل، كما ينظرون إلى القراءة على أنها ترجمة الرموز المكتوبة إلى ما تدل عليه من معان. وتكون سرعة الأطفال في القراءة الجهرية أكبر من سرعتهم في القراءة الصامتة. وفي نهاية هذه المرحلة، يبدأ الاستقلال في القراءة، وتبدأ القراءة الخارجية.

وفي هذه المرحلة، وإلى سن الثامنة أو التاسعة، يتخيل الطفل أشياء أبعد من الواقع المحيط به، ولذلك يحب القصص التي تدور حول الملائكة والجنيات والساحرات والعمالقة، وقد تعلمت البشرية كثيرًا من هذه القصص، فمعظمها يدور حول تحديد البطل لهدف صعب يقرر الوصول إليه، ثم نجاحه في مواجهة مختلف التحديات حتى يحقق هدفه.

obeikandl.com

ويهتم الأطفال ابتداء من هذه السن، بالكتب التي تعطي معلومات، بشرط أن تكون الصور والرسوم الواضحة الملونة مادة أساسية فيها، وذلك مثل الكتب التي تتناول الحيوانات أو وسائل الموصلات مثل السيارات والقطارات والطائرات، على أن تكون في حدود مقدرة فهم الطفل.

كذلك يهتم الأطفال بالكتب التي تعطي معلومات عن كيفية صنع الأشياء، والأعمال التي يقوم بها الناس، وماذا يحدث من حولنا، على أن يكون كل هذا بطريقة بسيطة، لكن دقيقة أيضًا.

مرحلة النمو السريع في إتقان المهارات الأساسية للقراءة:

وتمتد من سن الثامنة إلى التاسعة أو العاشرة، أي خلال السنوات الوسطى من التعليم الابتدائي. وفيها ينتقل الأطفال من تعلم القراءة إلى القراءة للتعلم، وهم يستخدمون العادات والاتجاهات التي اكتسبوها في المراحل السابقة من فهم وحب للقراءة، ليحصلوا على معلومات وخبرات جديدة، وفي هذه المرحلة تزداد سرعة الأطفال في القراءة الجهرية والصامتة، مع رغبتهم الشديدة في استخدام مهاراتهم في قراءة كل ما يقع تحت نظرهم من مواد، مثل الإعلانات في الشوارع وأسماء المحال التجارية.

ولكي تتحقق أهداف هذه المرحلة، يجب أن تكون موضوعات الكتب مشوقة ولغتها سهلة. ويجب الحرص الشديد في تقديم المفردات الجديدة في هذه المرحلة، وأن تكون نسبتها إلى الكلمات القديمة قليلة في أولى الأمر، ثم تتزايد بالتدرج، وهذا هو السر في كثرة التكرار الذي يلاحظ في المواد التي تقدم الأطفال حتى هذه المرحلة.

ويلاحظ أنه بعد سن ثماني أو تسع سنوات إلى سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة، يقل اهتمام الطفل بقصص الحيوانات والقصص الخرافية، وبدلا منها يهتم الأولاد بقصص المغامرات والرحلات والأبطال والمكتشفين والقصص البوليسية، على حين تفضل البنات القصص التي تدور حول العواطف الأسرية والفنية –مع استمرار الاهتمام بكتب المعلومات.

مرحلة التوسع في القراءة:

وتمتد من التاسعة أو العاشرة إلى ما يقرب من الرابعة عشرة، وهو ما يقابل السنوات الخامسة والسادسة من المرحلة الابتدائية، والسنتين الأولى والثانية من المرحلة الإعدادية. وفي

هذه المرحلة، يقرأ الأطفال كل ما تصل إليه أيديهم من مطبوعات. لذلك فإنه كلما كثرت مواد القراءة تعددت موضوعاتها، بحث تشبع ميولهم وتنمي قدراتهم وخبراتهم، زاد إقبال الأطفال على القراءة. وتعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل في الاتصال بأدب الأطفال.

ومن أهم أهداف القراءة في هذه المرحلة، تكوين الثروة اللغوية الواسعة عن طريق المفردات والأساليب الجديدة، بطريقة تمكن الأطفال من استخلاص معناها من السياق، لذلك لابد إمدادهم بالقواميس والمراجع التي تساعدهم على تحديد المعاني تحديدًا دقيقا.

وسرعة الطفل في القراءة الصامتة في هذه المرحلة تفوق سرعة القراءة الجهرية، مما يساعده على الاستمرار في القراءة.

وفي نهابة المرحلة، تنجح القصص التي تدور حول النجاح في المشروعات والوصول إلى الزعامة والقيادة.

مرحلة النضج:

وتمتد إلى السادسة أو السابعة عشرة. وفيها تأخذ الاهتمامات العامة، ومها اهتمامات القراءة، في التخصص، وتقترب المادة المقروءة في مفرداتها وخصائصها الأسلوبية من مواد القراءة العادة والعامة، وتتجه عناية القارئ إلى فهم الأفكار والمعاني ونقدها وتلخصيها. واستخدام المراجع ومصادر المعلومات، وتذوق قوة التعبيرات المجازية والصور البيانية وغيرها من الصور الفنية.

obeikandl.com

أطفال لا خبرة لهم بالكتب

قد نجد المدارس أو المكتبات أو نوادي الأطفال، أطفالا لم تتح لهم أسرهم أو بيئتهم أن يتزودوا في السنوات الأول من حياتهم بالخبرات اللازمة للاستعداد أو التهيؤ للقراءة، مما يؤدي إلى تخلفهم عن زملائهم في مراحل تعلم القراءة، بل قد يجعلهم يعانون لسنوات طويلة من التخلف في القراءة، مما يؤثر على مستوى تحصيلهم العام، بل ينفرهم تمامًا من القراءة، ومن العملية التعليمية كلها، التي تعتمد في كافة المواد، على قدرة الطفل على قراءة وفهم واستيعاب الكثير المخصصة لكل مادة.

وبالنسبة لهذه الفئة، لابد أن نضع أمامنا هدفًا أساسيًا، هو التأكد من أن الطفل يفهم ما يقرأ، أو ما نقرؤه عليه.

ولن يتم إلا بتنمية عادة الإصغاء والانتباه لدى الطفل، وتنمية عادة صيغة الأفكار صياغة لغوية، وتنمية القدرة على التعبير عن النفس، وعلى خلق الصور وصياغتها في كلمات.

وفي سبيل هذا، لابد أن نضع بين أيدي مثل هؤلاء الأطفال مجموعات من الكتب المتنوعة الممتعة، يقلبونها بأنفسهم، ونحدثهم عنها، ونحببهم فيها، وخاصة تلك التي تناسب سنًا أصغر من سنهم.

كذلك يجب أن ننظم حلقات يومية نقرأ لهم بصوت عال، ونسمع أسئلتهم ونجيب عليها، ثم نسألهم ونناقش إجاباتهم، ونتيح لهم أن يعيدوا رواية ما سمعوه، ونعيد عليهم ما قرأناه حتى يحفظوا مضمونه، ونطلب منهم أن يلقوا أسئلة حول ما سمعوه، وأن يجيبوا بأنفسهم عن هذه

obeikandl.com

الأسئلة، وأن نربط ما قرءوا بالرسم واللعب، وبالتمثيل وبالأغاني وبالموسيقى، فيرسمون موضوعات يختارونها من بين ما سمعوه، أو يؤلفون تمثيلية يؤدها، مستمدة مما سمعوا أو قرءوا، وهكذا.

كما يجب أن نهتم، في كل مناسبة، بأن نبين لهم مفاهيم العناية بالكتب، وفهم الصور، ومعاني الكلمات، وأن نشرح لهم ما يصعب عليهم فهمه من رسوم أو كلمات، وأن نعطيهم قدوة دائمة في كيفية المحافظة على الكتاب، واحترامه، والحرص عليه، والاستفادة به.

كذلك يمكن تكليفهم بكتابة موضوعات لصحيفة الحائط، وفي هذا المجال، يجب الاعتماد على المواد التي يكتبها الأطفال بأنفسهم، عن خبراتهم الخاصة وبلغتهم وبألفاظهم هم، أي لا تكون موضوعات منقولة. ويحسن أن تكون الموضوعات في مجلة الحائط قصيرة جداً، لا يتجاوز كل موضوع عددًا قليلا من الجمل، مع تقسيم كل موضوع إلى نقاط قصيرة متميزة، أي يجب أن تتكون المجلة من مواد كثيرة قصيرة، بدلا مما نراه أحياناً من وجود مواد قليلة طويلة في صحف الحائط، فلا يقرؤها أحد. ويجب أن تكتب مثل هذه المجلات بخط كبير جدًا وواضح جدا، وأن يكون هناك توازن بني المساحة المخصصة للكتابة والمساحة المخصصة للصور والرسوم. وفي النهاية، يجب أن تعلق في هذه المجلات في مستوى بصر الأطفال.

كما يحسن تعويد كل طفل على أن يصطحب مع إلى المكتبة "كراسة للمطالعة" يسجل فيها ما أعجبه، مع تسجيل بيان بما تم قراءته في كل يوم، وعلى المشرف على مكتبة الأطفال أو نادي الأطفال أن يظهر مزيداً من الاهتمام والعناية يوميًا، بكل ما يكتبه كل طفل في كراسته هذه، وأن يدعوه بين الحين والحين إلى أن يقرأ منها على زملائه.

كذلك يمكن عقد ندوات مكتبية في يوم أو يومين محددين من كل أسبوع، يعرض فيه طفل أو عدد من الأطفال كتابًا أو قصة معينة، ثم يتلقون الأسئلة حول ذلك الكتاب، أو تلك القصة.

هذه كلها أمثلة لطرق التعامل مع الأطفال في مكتبات الأطفال، وهو موضوع سنتعرض له بتوسع أكثر في نهاية هذا الكتاب. ويمكن للمشرف على المكتبة المتحمس لعمله، الذي يحترم الأطفال ويفهمهم ويقدرهم، أن يبتكر كثيرًا غيرها من الوسائل التي تجعل من الكتاب صديقًا شخصيًا حميمًا لكل طفل، مثل قص القصص بشرائح الفانوس السحري، أو اصطحاب الأطفال إلى الزيارات والرحلات المرتبطة بموضوعات الكتب لحفزهم على قراءتها.

ماذا تقدم للقصص للأطفال

استقر رأي رجال التربية وعلماء النفس، على أن الأسلوب القصصي هو أفضل وسيلة نقدم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال، سواء كان ذلك قيمًا دينية أو أخلاقية، معلومات علمية أو تاريخية أو جغرافية، توجيهات سلوكية أو اجتماعية.

إن حب الأطفال للقصص والحكايات، أمر شائع ومعروف. فالأسلوب القصصي، بما فيه من تشويق وخيال وربط للأحداث، يمكن أن يكون الوعاء الذي نصب فيه كل ما نريد تقديمه للأطفال.

كذلك فإن من أهم وسائل تنمية وعي القراءة، وتنمية مختلف القدرات اللازمة لجعل القراءة عملية منتجة ومفيدة، أن نقص القصص للأطفال، وأن نعاونهم على قص القصص بأنفسهم.. أن نقرأ لهم القصص، وأن نشجعهم على أن يقرءوا القصص بأنفسهم، لأنفسهم ولغيرهم.

إن للقصص دورًا هامًا في التربية، سواء من ناحية توجيه السلوك، أو تنمية الخيال، أو تنمية الإحساس بالجمال، أو إدخال المتعة، أو ترقية اللغة.

كذلك فإن توجيه الأطفال، بعد استماعهم إلى قصة أو قراءتها، لرسم أحداث منها، أو إعادة كتابتها، أو تمثيل بعض مواقفها، يساهم كثيرًا في تنمية خيال الأطفال، وقدراتهم الفنية واللغوية.

obeikandl.com

وتعد القصة الوسيلة الفنية المثالية، التي لابد من استخدامها، لكي نوصل ما نريد إلى الطفل من المعلومات والقيم.

اختيار القصة:

ولكن ليست كل قصة صالحة للأطفال، فالكثير من القصص التي تقدمها الكتب أو وسائل الإعلام للأطفال، تتضمن مفاهيم ونماذج سلوك كبيرة الخطر عليهم. وكثيرًا ما نترك أطفالنا تحت تأثير مثل هذه القصص، التي تقدمها بكثرة مجلات الأطفال في قصصها المسلسلة المرسومة (الكومكس) أو تقدمها البرامج المرئية (التلفزيونية).

والصفحات التالية محاولة للتنبيه لأخطر ما تتضمنه القصص الشائعة، التي تقدمها عادة وسائل الواسعة الانتشار.

إن القصص من أهم المصادر التي يعتمد عليها الطفل في معرفة حقائق الحياة، ومن أخطر الأمور أن نقدم لأطفالنا قصصًا تؤكد لديهم قيمًا أو نماذج سلوك خاطئة ومنحرفة.

ويلاحظ في هذا الصدد، أن هناك قصصًا يمكن أن نعدل في أحداثها ومواقفها حتى تناسب الأطفال. فمعظم القصص الشعبية، بها كثير من مواقف العنف ومنافاة الأخلاق. ومع ذلك فقد أعيدت كتابة عدد كبير منها، لتنقيتها من هذه الشوائب، مع الاحتفاظ بما فيها من جاذبية وتشويق.

أما إذا تعذر القصة مما بها من شوائب، فيجب استبعادها تمامًا من دائرة أدب الأطفال.

العنف كوسيلة لحل المشاكل:

ومن أكثر النماذج السلبية التي تقابلنا في قصص الأطفال، تلك القصص التي تمجد العنف كوسيلة لحل المشاكل، أو التي تجعل القوة البدنية هي العامل الأقوى في حسم مختلف المواقف، وذلك مثل قصص "طرزان" أو "سوبرمان" أو "الجاسوسية" والتي لا تحتوي على أي قيم إنسانية أو أخلاقية.

إن تاريخ الحضارة، هو تاريخ إحلال العقل محل القوة، وعندما نقدم للأطفال شخصيات مثل "طرزان" الذي تربي بين الحيوانات، والذي لا يعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا

obeikandi.com

القوة البدنية، فإن الأطفال سيسقطون من سلوكهم كل ما قدمته لنا تاريخ الحضارة من وجوب استخدام العقل في حل المشكلات بدلا من القوة، وهو أمر يتنافي مع أهم أهداف التربية السلوكية للأطفال. فأول ما نهتم بغرسه في أطفالنا، هو تدريبهم على مواجهة المشكلات وحلها بنجاح، وذلك عن طريق استخدام العقل، مع استبعاد القوة البدنية بشكل شبه كامل.

إن "الأوديسا" عندما تحكي قصة "أوليس" مع السيكلوب" ذي العين الواحدة، تبين كيف استطاع الإنسان الضعيف بجسمه القوى بعقله، أن يتغلب على ابن الآلهة، القوي بجسمه، الضعيف في عقله، ومن غير المعقول أن يعلم اليونان القدماء أبناءهم، منذ ثلاثة آلاف سنة، الاعتماد على العقل بدل القوة، ثم نأتي نحن في نهاية القرن العشرين، لنقص على أطفالنا قصص طرزان وسوبرمان والجاسوسية التي أشرنا إليه، فنلغي بها كإنجازات الحضارة، عندما نؤكد بما نقدمه لأطفالنا من تلك القصص، أن القوة هي الوسيلة المثالية الحاسمة لحل المشكلات التي تواجه الإنسان!!

إثارة العطف على قوى الشر أو تمجيدها:

كذلك يجب تجنب القصص التي تتضمن إثارة العطف على قوى الشر أو تمجدها، مثل اقصص التي يتغلب فيها الشرير على الشرطي أو على ممثل القانون.

إن بعض من يقدمون مثل هذه القصص، يدافعون عنها بقولهم إنهم يعرضون صور السلوك الخاطئة، لكي يقوموا بإدانتها في خاتمة القصة.

لكن ما أشد خطأ هذا التصور.

إن الأطفال يتأثرون بمختلف مواقف القصة التي يقرءونها أو تحكيها لهم، لما في تلك المواقف من حركة وتشويق. فإذا كانت تلك المواقف تتضمن انتصار الشرير أو تمجيده، وإظهار بطولته، فإن هذا هو الذي سيؤثر بعمق في الأطفال، أكثر كثيرًا مما يتأثرون بخاتمة ندين فيها الشر بعبارات عامة.. فما أقل تأثير الكلمات على الأطفال، وما أقوى تأثير مواقف الحركة والحوار والخيال عليهم.

السخرية بالآخرين:

كذلك يجب تجنب القصص التي تقوم على السخرة بالآخرين، عن طريق تدبير المقالب لهم، وإيقاع الأذى بهم، مثل موضوع الأفلام المتحركة "توم وجيري".

obeikandl.com

إن هذه الأفلام وأمثالها تجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء التنافس بين الأطراف المتنازعة، والموضوع الرئيسي المتكرر فيهان هو ما يدبره كل طرف للطرف الآخر من أساليب للأذى. وإذا كنا نضحك ونحن نشاهد مثل هذه الأفلام، فإن الطفل الذي يشاهدها في السينما أسبوعًا بعد أسبوع، أو في التليفزيون يومًا بعد يوم، سيتركز في وعيه نمط خاطئ من السلوك، من السهل تقليده والتمثل به، لما فيه من تنمية للإحساس بالتفوق على الآخرين برغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار.

ازدراء الأجناس الملونة أو احتقار الحياة الإنسانية:

كذلك يجب الحذر من القصص التي تتضمن ازدراء الأجناس الملونة، أو احتقار الحياة الإنسانية والاستهانة بها، مثل القصص التي تدور حول إبادة الهنود الحمر، أو قصص طرزان التي تؤكد تفوق الرجل الأبيض.

إن قصص الغرب الأمريكي، التي كثيرًا ما تقدمها القصص المصور المسلسلة في مجلات الأطفال، تؤكد لدى الأطفال شعورًا قويًا بتفوق الرجل الأبيض، وبتفاهة حياة سكان أمريكا الأصلين، وبأن من حق الرجل الأبيض أن يقتلهم كما يقتل الحيوانات المتوحشة.

ومثل هذه الصورة نجدها أيضًا في قصص طرزان، التي يلجأ فيها هذا العملاق الأبيض إلى استعداء الحيوانات على أهل أفريقيا السود، تقتل منهم من يرى أنهم أصبحوا أعداء له.

إن مثل هذه القصص، تجعل الحياة الإنسانية شيئا هينا في وجدان الأطفال في حين أن من أسس التربية السليمة، أن نبني الاحترام للحياة الإنسانية والحفاظ عليها وتقديرها، بل تقديسها مهما اختلف لون البشرة.

التبسيط المخل للشخصيات:

كذلك يجب الحذر من القصص التي تلجأ إلى تبسيط الشخصيات، وتجعل بعضها ممثلا للخير المطلق وبعضها ممثلا للشر المطلق، مثل كل قصص الرجل الخارق للطبيعة (السوبرمان)، لأن هذا مخالف لطبيعة البشر، ويؤدي فهم الأطفال لمجتمعهم فهمًا خاطئًا، ففي كل إنسان جانب طيب وجانب خبيث. والمهم ن نفهم دوافع الإنسان وأسباب سلوكه، لكن بطريقة مبسطة تناسب الأطفال.

إن هذا النوع من القصص يؤكد قيما مضادة لكل ما قامت عليه نظم الدول المتمدينة الحديثة: فمن القيم التي يجب أن تشيع في نفوس الأطفال، احترام القانون، وترك مهمة محاكمة والحكم عليه وتنفيذ الحكم للقضاء ولسلطات الأمن لكن كثيرًا من قصص الرجل الخارق للطبيعة تجعل البطل هو الذي يحدد ما هو الخير وما هو الشر، وتتركه يحكم على الآخرين بمعياره الشخصي، وينفذ بنفسه ما ينتهي إليه من أحكام، ولو كان الحكم بالإعدام! وبهذا تلغى هذه القصص كل ما بنته الحضارة من نظام للدولة، يخضع فيه كل شخص للقانون الذي سنته الجماعة، حتى لا يترك الأمر فوضى لوجهات النظر الشخصية التي تغلبها مثل هذه القصص، التي تعطى ذلك الفرد المتفوق –والذي يفترض أن يتمثل به الطفل– كل سلطات الشرطة والقضاء وأجهزة تنفيذ الأحكام.

يضاف إلى هذا أن هذه القصص تزيف الحياة، وعندما تجعل في متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة، دون إبراز أي جهد بذله للحصول على هذه الوسائل، حتى إنه يحطم في كل يوم ما يساوي عشرات الآلاف من الجنيهات بغير أسف أو ندم ثم يجد غيرها بنفس البساطة، برغم أنه من أسس التربية السليمة أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون أو ما يتطلعون إلى امتلاكه، وأنه لابد من بذل الجهد للحصول على هذا الذي يتطلعون إليه.

وإذا قيل إن مثل هذه القصص تنمي الخيال العلمي، فإنه يحب التفرقة بين القصص التي تقوم على تنمية "أسلوب" التفكير العلمي، الذي يعتمد على الملاحظة والاستنتاج، والتجربة والخطأ، ووضع الفروض وتمحيص هذه الفروض حتى يصل البطل إل نتائج إيجابية ناجحة، وبين القصص التي تحفل بها الكتب والمجلات التجارية، والتي تقدم للطفل، دون مقدمات، أجهزة ووسائل جاهزة، يستخدم البطل معظمها في الدمار والقتل، بدون أية إشارة إلى أسلوب التوصل إلى اختراع تلك الآلات، أو أية إشارة لما يمكن أن تمنحه للبشرية من فوائد، فهي قصص "توهم" بأنها من قصص الخيال العلمي، في حين أنها في الواقع من قصص "الهذيان" الذي يستعير من العلم أشكاله الخارجية، دون مضمونه الحقيقي.

إثارة مخاوف الأطفال:

كذلك يجب ألا تتضمن القصة ما يثير مخاوف الأطفال. فالخوف هو إحدى القوى التي تعمل على البناء أو الهدم بالنسبة لتكوين الشخصية، وقد يؤدي الخوف إلى تثبيت الطاقة العقلية، بدلا من توجيهها إلى الأهداف النافعة.

وأكثر مخاوف الأطفال تثور بسبب أنواع الخبرة التي يتعرضون لها في سنواتهم الأولى، ومن أكثر هذه الخبرات تأثيرًا، ما يسمعونه من قصص.

إن أكثر المخاوف التي يعاني منها الطفل، يغلب عليها أن تكون تقليدًا لمواقف رآها في أهله، أو سمعها في قصص واقعي أو خيالي، قرأها أو سمعها في الإذاعة، أو شاهدها على شاشة التليفزيون. فإذا استخدمت القصص عنصر إثارة الرهبة والخوف كوسيلة للتشويق وجذب الانتباه، فإن الطفل قد ينتشي عند سماع القصة نهارًا، وهي في حمى الكبار، لكنها تملؤه خشية ورعبًا عندما يصبح وحيدًا في هدأة فراشه أو غرفته، فنجد حياته قد أصبح يسيطر عليها الخوف من الظلام أو الحيوانات أو اللصوص أو رجال الشرطة أو العفاريت، أو حتى الخوف من مجرد الخروج إلى الطريق العام، أو من مواجهة الناس والحياة، وهذا الخوف إذا اتسع مداه، أو زادت شدته، أصبح سببًا لعجز الطفل و أعاقة نشاطه.

لذلك يجب أن نتجنب الإيحاء إلى الطفل في القصص باحتمال تعرضه الدائم للخطر، أو أن نثير فزعه من مواجهة الحياة، أو نشككه في عدالتها، أو نثير رعبه من أشياء هي على الأرجح من الأشياء المألوفة تمامًا للطفل في حياته اليومية، مثل الظلام أو الحيوانات أو رجال البوليس.

والخلاصة أن واجبنا أن نختار دائما القصص التي تعمق القيم الدينية والأخلاقية، أو تثير الاهتمام بالأدب والفن والعلم، أو تبرز قواعد السلوك أو تنمي الشعور بالمسئولة، وبوجه عام، التي يدور مضمونها حول ما نريد أن ننميه ونبنيه في أطفالنا من قيم واتجاهات. بشرط أن يجئ كل هذا في ثنايا القصة، ولا يجئ عن طريق مباشر. إن سلامة المضمون لا يمكن أن تبرز الفقر في الشكل الفني، وإذا لم نقدم القصص في إطارها الفني المشوق المحبوك، فلن يستمع إلينا الطفل ولن يصل إليه أي مضمون.

obeikandl.com

كيف نحكي قصة

يستمع الأطفال، خاصة الصغار منهم، إلى القصة المروية لهم في شغف وحب شديدين. وتأتي منعتهم عند الاستماع إلى القصة، نتيجة تلك الصلة العميقة التي تنشأ بين الراوي والمستمع. فرواية القصص هي أسرع الطرق لتكوين المودة بين المربي والأطفال، كما أنها أكثر الطرق تأثيرًا في خلق عادة التركيز والانتباه عند الطفل، بالإضافة إلى أن إثارة الشغف بالقصص، هو مدخل رئيسي لحب الكتب وتنمية الرغبة في الاطلاع، وهناك آراء مختلفة حول ما إذا كان الأفضل للأطفال أن نقرأ لهم القصة أو نحكيها لهم بغير الاستعانة بكتاب. ذلك أنه حتى بالنسبة للأطفال الصغار، فهم في حاجة إلى أن نقرأ عليهم بعض القصص البسيطة، لكي نربط بين متعة الاسمتاع إلى القصة، وإثارة الاهتمام بالكتاب الذي أعطاهم هذه المتعة، خاصة إذا كان به عدد الرسوم الملونة الكبيرة، التي تساعد صغار الأطفال على الاستمتاع بالقصة، كما تعاون الكبار منهم على متابعتها.

كما أن من مزايا تلاوة القصة من كتاب، أنه يمكن الأطفال، بعد قراءة القصة، أن يتابعوها مرة أخرى بالتطلع إلى الصور.

ولكن رواية القصة بغير تقيد بنص مكتوب وبغير الاستعانة بكتاب، ستظل من أنج الوسائل في تنمية كثير من المهارات اللازمة لحب القراءة والإقبال على الكتب.

لقد كانت رواية القصة واحدة من أقدم مظاهر التسلية، ويبدو أنها ستظل كذلك. فرواة الملاحم والحكايات الشعبية المتجولون معروفون في كل الحضارات، وكثيرًا ما تقوم الإذاعة والتليفزيون والمسجلات بدور الراوي حاليًا.

obeikandl.com

إننا نمارس جميعًا يوما بعد بوم قص القصص. وعندما نقابل أصدقاءنا أو أفراد العائلة الآخرين، ننساب في قص أحداث حياتنا اليومية، لا ننسى التفاصيل ولا نجد صعوبة في اختيار الكلمات الصحيحة. ونجذب مستمعينا بتكرار بعض الجمل التي نقولها بتلقائية مثل "لن تستطيع أن تخمن أبدًا ما حدث بعد ذلك: أو "ماذا تظنه قال؟".

وبذلك نتجنب في مهارة أية محاولات لمقاطعة ما نرويه، فنحن نعرف القصة جيدًا وقد تمثلناها صورًا في ذاكرتنا مرة بعد أخرى، والمبالغة الطفيفة التي يسمح بها سياق الكلام، تزيد متعة قصتنا، مادامت لا تخرج عن حدود ما يمكن تصديقه.

وهذا الذي نفعله كثيرًا في حياتنا اليومية يقدم لنا العناصر الأساسية اللازمة للنجاح عندما نقوم برواية قصة للأطفال.

معايشة القصة:

حتى ننجح في رواية القصة، يجب أن نكون على دراية جيدة بالقصة التي نحكيها، نتعرف على شخصياتها، ونعايش تسلسل أحداثها، فتسلسل الإحداث هام جدًا، حيث إن صغار الأطفال يحتاجون إلى بعض الوقت لهضم كل معلومة جديدة. ويساعد على ذلك إلى حد كبير، التأني في الإلقاء والتأكيد على النقاط الهامة أو إعادة شرح نفس النقطة ولكن بأسلوب جديد. كذلك يجب أن نعرف كيف نسلط الاهتمام على موضوع القصة الرئيسي بعد أن نشد إلينا الاهتمام.

إن القصاص صاحب الخبرة هو الذي تبدو قصته كأنها من إبداعه وخلقه، وهو يستعد لذلك قبل مواجهة الأطفال، بان يدرس القصة التي سيلقيها، وأن يتمثل مختلف مواقفها، ويربط بين أحداثها في خياله وذهنه ويمزج النص بإحساسه، حتى إذا ما عرف قصته جيدًا استطاع أن يرويها في بساطة وتلقائية وفي تدفق وروح مرحة، مع ربطها بتجارب الأطفال وخبراتهم، غير مقيد بنص أو بعبارة محددة، وبذلك يتفادى أن يتوقف ويتجنب أن يخطئ في الأسماء أو الأحداث أو يكرر الموقف تكرارًا مخلا، أو ينسى موقفًا أو يرويه في غير موضعه.

الإلقاء المعبر:

ومن عوامل النجاح في القصة، أن يستخدم الراوي كل إمكانياته لجعل طريقة إلقائه مشوقة ناجحة. فيستخدم استخدام صوته للتعبير والتوضيح، ونقل مختلف العواطف والانفعالات،

obeikandl.com

ويقلد به الأصوات خاصة مختلف أصوات الحيوانات، ويؤدي فقرات الحوار بالتمثيل ذلك أنه من الصعب جدًا الإنصات إلى حكاية نسمعها على وتيرة واحدة كما يستطيع القصاص الناجح أن يقلد بحركات جسمه وتعبيرات وجهه شخصيات قصته في مختلف المواقف.

كذلك يجب أن يكون الإلقاء واضحًا وفي هدوء لكي تخرج الألفاظ والكلمات وكل حرف فيها سليم النطق، فيسهل على الأطفال فهمه واستيعابه بسرعة وسهولة.

ويرتبط بهذا ضرورة اختيار الكلمات المناسبة لسن الأطفال المستمعين. فلابد للراوي أن يكون صاحب خبرة بالقاموس اللغوي الذي يستخدمه الأطفال الذين يلقى عليه القصة، أي يكون عارفًا بالألفاظ المتداولة بينهم والتي يفهمونها. وأن يستخدم –كلما أمكن– الكلمات ذات المضمون المادي الملموس أكثر من الكلمات ذات المعنى المعنوي، فيختار الألفاظ التي تثير المعاني الحسية المتعلقة بالبصر والسمع والحركة واللمس والذوق والشم.

القصة المناسبة للعمر:

كذلك على الراوي أن يختار القصة المناسبة لسن الطفل أو الأطفال الذين يحكي لهم القصة. فليست القصص مناسبة لكل الأعمار. وقد سبق أن ذكرنا أنه إذا كانت قدرة الطفل على الإصغاء إلى القصص تبدأ عندما يستطيع فهم ما يحيط به من حوادث، وعندما يصل إلى نهاية السنة الثالثة من عمره، وأحيانًا تلك السنة، فإنه في الفترة من ثلاث إلى خمس سنوات يفضل القصص التي تدور حول الحيوانات أو حول شخصيات في محيطه، وبعد هذه المرحلة وإلى سن الثامنة أو التاسعة يفضل الأطفال القصص الخيالية التي تدور حول الملائكة والجنيات والساحرات والعمالقة، أما بعد سن التاسعة وحتى العام الثالث عشر والرابع عشر بهتم الأولاد بقصص المغامرات والرحلات والأبطال والمكتشفين والقصص البوليسية، على حين تفضل البنات القصص التي تدور حول العواطف الأسرية والفنية.

وفي نهاية هذه المرحلة تنجح القصص التي تدور حول النجاح في المشروعات والوصول إلى الزعامة والقيادة.

طول القصة:

كذلك يجب أن يراعي الراوي أن يكون طول القصة مناسبًا لسن الأطفال، ففي السنة الصغيرة قبل خمس سنوات يجب ألا تستغرق حكاية القصة أكثر من عشر دقائق أو أقل من

ذلك، لعد قدرة الأطفال على التركيز فترة طويلة، ولسرعة إحساسهم بالملل. وبعد ست سنوات وحتى سن تسع سنوات يمكن أن تستغرق القصة من عشرين إلى ثلاثين دقيقة. أما بالنسبة للسن الأكبر من ذلك فإن طول القصة يرتبط بموضوعها وبإقبال المستمعين عليها.

اختيار الوقت الملائم:

كذلك فإنه لكي ينجح الراوي في حكاية القصة لابد أن يختار الوقت الملائم لروايته، فلا يكون الأطفال منهمكين في نشاط آخر، ولا يكونون مجهدين مما يمنعهم من التركيز.

وفي دور الحضانة ورياض الأطفال، لا يجب الإصرار على اشتراك جميع الأطفال في حلقة الاستماع إلى القصة، فإذا كنا قد اخترنا في الوقت المناسب، أي عندما يكون واضحًا أن معظم الأطفال يرغبون في الانضمام إلى جماعة تستمع على قصة، فإن الطفل الذي لا ينضم إلى هذه الجماعة، قد يكون بقية الأطفال مشغولين في المجموعة القصصية. لكن يجب تنبيه مثل هذا الطفل حتى لا يثير ضوضاء عالية تفسد حلقة الاستماع إلى القصة.

جلوس الأطفال بطريقة مريحة:

كما أن على الراوي أن يراعي جلوس الأطفال بطريقة مريحة، وبحيث يستطيعون أن يروا الراوي وأن يراهم. وأفضل طريقة لذلك أن يجلس الأطفال على مقاعد معدة على هيئة نصف دائرة، أو يجلس نصفهم على تلك المقاعد ويجلس الباقون على سجادة أو بساط يوضع على الأرض أمام المقاعد، في مواجهة الراوي، وبالقرب منه، لأن هذا يخلق في الأطفال شعورًا بالقرب النفسي من الراوي ويساعدهم على سماع صوته بوضوح. كما يحسن جلوس القصاص بجوار الأطفال القلقين أو العصبين لإمكان السيطرة عليهم. كذلك لا يجب أن يجلس الأطفال ملتصقين بشدة بعضهم ببعض، ذلك أن أي حركة غير إرادية من بعضهم ستشغل الأطفال الآخرين، لذلك يجب إفساح المكان قليلا بين طفل وآخر.

الترحيب بأسئلة الأطفال:

وعلى الراوي أن يكون مستعدًا لكثير من الأسئلة والمقاطعات. فالراوي الناجح هو الذي يقابل كل مقاطعة بهدوء ومرح وبأعصاب هادئة، وهو الذي يجيب عن كل سؤال بطريقة بسيطة

ومقنعة لا تستغرق وقتًا طويلا حتى لا يفقد الأطفال متابعتهم لموضوع القصة. إن إيماءة أو بسمة قد تكون كافية لإشعار الطفل بأننا قد تنبهنا لمقاطعته، وأننا سنضعها في الاعتبار. فالطفل الذي يشعر بأننا نتجاهله سيكرر مقاطعته مرة بعد أخرى بصوت أعلى.

ولا يجب أن يمضي الراوي مع الأحداث الثانوية طويلا، حنة ولو كانت مسلية أو مبهجة، وذلك لكي لا يفقد المستمتعون تتبعهم لسير الحدث الرئيسي، كما أنه من الخطأ أن ينشغل الراوي بأمور خارجية، كالمحافظة على النظام أو الاهتمام بأمر جانبي.

كذلك يجب تجنب القصص المعقدة التي تضم شخصيات متعددة، أو بها عقدة ثانوية إلى جانب العقدة الرئيسية، لأن مثل هذه القصص تصب الأطفال بالحيرة والارتباك في أثناء تتبعهم للأحداث.

روح المرح:

ومن المهم أن يحتفظ الراوي بروح الفكاهة وهو يروي قصته، فهذا شرط من أهم شروط إقبال الأطفال على الاستمتاع بما يقول. كما يجب أن يروى قصته في بساطة وأن يبتعد عن التكلف ويترك نفسه على سجيتها.

ولا يجب أن يقلب الراوي قصته إلى درس في الوعظ والإرشاد، بل يجب الاهتمام أساسًا بالجانب الفني، الذي يتولى بدوره نقل متخلف المعاني والقيم للأطفال بحيث يدرك المستمع المضمون بنفسه بغير تصريح.

إن أفضل الرواة هو من استطاع أن يوقظ خيال الأطفال، وثير لديهم صور الأحداث، وهذا يتوقف على درجة الوضوح والقوة التي يصور به الراوي الأحداث ويصف بها الشخصيات.

الاستعانة بالوسائل السمعية والبصرية:

ولاشك أن الاستعانة بالصور الملونة، أو بعرض لشرائح الفانوس السحري، أو بعرائس القفاز، من أهم الوسائل التي تعاون على تحقيق مختلف الأغراض التربوية التي تهدف إليها من رواية القصص، إذ يستطيع الراوي مثلا، مع إعادة عرض الصور أو الشرائح، أن يطلب من الأطفال إعادة قص القصة، أو شرح مضمون كل صورة. كما يمكن إعطاء الأطفال مجموعة العرائس (الدمى) التي أشركناها معنا في تقديم القصة، ليقوموا هم، عن طريق تحريكها بأنفسهم، بإعادة رواية القصة، أو تمثيل مختلف مشاهدها.

تكرار حكاية نفس القصة:

ويلاحظ أن الأطفال كلما صغر سنهم، لا يملون من تكرار سماع نفس القصص التي استهوتهم. استيعاب مجموعة من الأطفال العاديين ممن تتراوح أعمارهم بين الثالثة والخامسة لقصة، قد يحتاج إلى تكرارها عليهم حوالي أربع مرات، فعدم تكرار القصص قد يؤدي على عدم استيعاب الأطفال لها، وارتباكهم بوجه عام أمام تجربة استماع للقصص الجديدة.

لكن يلاح أيضًا، أن تكرار قصة بعينها –عددًا كبيرًا جدًا من المرات، بغير إضافة قصص جديدة– قد يضيق فرص الخبرة والمعرفة التي يمكن أن يكتسبها الأطفال نتيجة استماعهم لعدد أكبر من القصص. فلابد من إيجاد تناسب بين القصص التي نعيد روايتها على الأطفال، والقصة الجديدة التي نقدمها لهم.

obeikandl.com

الدور التربوي لمجلات الأطفال

مجلة الطفل من أهم الوسائل التي تساهم في تكوين المواطن الذي يشارك مشاركة فعالة بعقله وقلبه ويده في شئون مجتمعه، ولاشك أن مثل هذه المشاركة هي من أسس المجتمع الذي يريد أن ينمو.

إن توسيع مجالات المشاركة في الحياة وتعميقها هي مسئولية من أهم مسئوليات أجهزة الإعلام، ونفوذ الصحافة في تكوين اتجاهات الأطفال وفي تثبيت المضامين أجهزة الإعلام، ونفوذ الصحافة في تكوين اتجاهات الأطفال وفي تثبيت المضامين التي تريد أن ينمو الأطفال وهم على إيمان بها، إنما هو نفوذ لا يمكن إنكاره.

المجلة والكتاب:

ومجلة الطفل يجب أن تجمع بين مظاهر الكتاب ومظاهر الصحيفة الحديثة، فإذا كان الكتاب مجموعة من الدراسات أو البحوث أو القصص التي تتضمن قدرًا من المعلومات المترابطة أو العمل الفني المتكامل بهدف توسيع مدارك الطفل وتنمية معارفه والارتفاع بمستوى تذوقه للفنون –فإن المجلة تأخذ من الكتاب هذه السمة، ولكنها تتميز بأنها تتناول موضوعات متعددة متنوعة، على خلاف الكتب التي يتناول كل واحد منها موضوعًا واحدًا، وبذلك تتفادى المجلة احتمالات تسرب الماء إلى نفوس القراء.

obeikandi.com

المجلة والصحافة:

وتأخذ مجلة الأطفال من الصحيفة الحديثة خاصية ظهورها بصفة دورية منتظمة، وهو ما يسمح للقارئ بأن تتابع الأحداث الجديد، لكن الكتاب مهما كان حديثا لن يستطع متابعة ما يدور في العالم من أحداث هامة واكتشافات مثيرة، في حين نستطيع المجلة أو الصحيفة تصوير ما يحدث وتسجيله ونشره بعد فترة قصيرة من حدوثه. وبذلك تتمكن المجلة من توجيه الطفل نحو التيار الذي ينسجم مع ثقافية وقيم المجتمع الذي يعيش فيه.

كما تتميز بأنها تستخدم وسائل الطباعة الحديثة، وقواعد الإخراج الصحفي وفنونه، بكل ما في ذلك من مظاهر جذابة في ترتيب الصفحات، وطريقة شيقة في عرض الموضوعات والدراسات، وأساليب متنوعة لجذب القارئ، وهي بذلك تقاوم بدور هام ورئيسي في تنمية خبرات الأطفال في مجال القراءة.

إن المجلة بهذه الصورة، قد تكون أقد من الكتاب على تقديم المعلومات وتحويلها إلى مواد سهلة الفهم، وإن كانت تفتقد الشمول والعمق اللذين يتميز بهما الكتاب عادة.

إن المجلة تقوم بدور مكمل للكتاب، وتقود للضرورة إلى الكتاب، لأنها بما تمثله من جاذبية وملاحقة للأحداث وتعدد في الموضوعات، تستطيع تسهيل عملية تعلم القراءة وتنمية الاعتياد عليها، وترسيخ المهارات التي تجعل من القراءة عملية منتجة ومثمرة.

لكن المجلة لا يجب أن تمثل السلطة بالنسبة للطفل، فلا يجب أن تكون تكرارًا للسلطة المدرسية أو السلطة الأبوية، فإذا كانت التربية الاجتماعية تحتم على الطفل أن يخضع لمثل تلك السلطات، فإنه إذا أحس من المجلة مثل تلك السلطة، فسينفر منها ويعاديها دون أن يجد رادعًا يحول بينه وبين ذلك.

فلابد أن يشعر الطفل أن المجلة شيء خاص به، موجه إليه شخصيًا، يحبها، ويتفاعل معها، ويتأثر بها، وليست مجرد استكمال للنصائح الأبوية.

وتعتمد مجلات الأطفال على الرسوم على حد كبير، لأنه على طريق الرسوم ننمى خيال الأطفال وندفع إلى الأمام قدراتهم على الإبداع ونشوقهم إلى القراءة.

مواصفات مجلة أطفال معينة للمنهج المدرسي

لا توفر المدرسة للطفل إلا القدر الأساسي المحدود من المعارف التعليمية، أما تنمية الطفل –فنيًا واجتماعيًا وقوميا، مع تثقيفه وتسليته– فإن دور المدرسة في كل هذا على مستوى العالم العربي، لا يزال في بداية طريقه، ويمكن لمجلات الأطفال أن تعالج النقص في هذه النواحي.

كما أن هناك نقصًا شديدًا في مجلة للأطفال تعني بالمنهج المدرسي هي وسيلة ناجحة للتخفيف من جدية وجفاف وعدم جمال إخراج الكتاب المدرسي.

ولعل أشد مراحل الطفولة حاجة إلى مجلات تكمل المنهج المدرسي وتعينه هي مرحلة السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية، والسنوات الأولى من المرحلة الإعدادية، وهي مرحلة يكون فيها عمر الأطفال بين التاسعة إلى الثالثة عشرة.

كما أن مجلة موجهة إلى أطفال هذا العمر، قادرة على أن تعوض إلى حد ما، قلة المادة القرائية المتاحة لدى أطفال القرى أو المدن البعيدة أو الأحياء الفقيرة في العواصم، ذلك أن القدرة الشرائية لهؤلاء الأطفال محدودة، بل إن بعض أطفال القرى لم يشاهدوا في حياتهم مجلة أطفال.

ولكي تصل مثل هذه المجلة إلى الأطفال الذين لا تصل إليهم مواد قرائية. أو الذين لا توجد مواد قرائية كافية في محيطهم، لا نعرف أماكن تواجدهم بعيدًا عن المكتبات العامة، أو عن مراكز توزيع الصحف والمجلات، أو بسبب عدم اهتمام الوالدين بتزويد أبنائهم بتلك المواد القرائية، فإنه لابد من ربط نظام توزيع مثل هذه المجلة بالمدارس، خاصة المدارس الابتدائية،

obeikandl.com

حيث يتأكد الوصول إلى أكبر عدد من الأطفال، بل إلى كل الأطفال، خاصة في البلاد التي يقوم فيها نظام الإلزام بالنسبة للالتحاق بالمرحلة الابتدائية من التعليم.

فلابد من وضع نظام يضمن وصول هذه المجلة إلى المدارس كافة، ولعل أفضل طريقة للتوزيع هي إرسال أعداد المجلة بالبريد، على أساس أن تدفع المدارس اشتراكها مقدمًا مع تكلفة الإرسال بالبريد.

طريقة إخراج المجلة المقترحة:

من المهم أن نراعى "قطع الورق" المريح للطفل. والذي يساعد في نفس الوقت على تقديم صورة كبيرة المساحة وحروف واضحة، لأن الرسوم الصغيرة تحد من خيال الطفل ومن انطلاق الفنان والرسام، كما أن الحروف الصغيرة ترهق الطفل وتنفره من القراءة.

ولعل المقاس الذي يكون فيه عرض المجلة بين ١٨و ٢٢سم، وطولها بين ٢٨و٣٣سم هو المقاس المناسب، تبعًا لنوع الورق المستخدم وإمكانية تطبيقه وقصة بدون خسارة أو هالك.

ويجب ألا تقل نسبة الرسوم إلى الكتابة عن ٣٠% إلى ٤٠% من مساحة كل صفحة لأننا عن طريق الرسوم ننمي خيال الأطفال، وندفع الإمام قدراتهم، ونشوفهم للقراءة.

كما يجب أن تكون الرسوم واضحة بسيطة قريبة من الواقع، يشيع فيها روح المرح، تنمي الإحساس بالتذوق الفني لدى الطفل.

وبجب تجبن أسلوب الهزليات (الكومكس)، برغم أن ذوق الأطفال العام أصبح يتفق في أغلبه على طلب المجلات التي تقدم موضوعاتها في شكل هذه القصص المرسومة المسلسلة، إن هذه الصور الكثيرة المتتابعة المتلاصقة، ذات الحور القصير داخل نفس هذه الصورة قد أصبحت تجني على الكثير من القيم التربوية والفنية: إنها تحرم الكلف متعة القراءة الجادة، وتعوده على القراءة غير الأدبية السريعة الركيكة، بالإضافة إلى ذلك التعبير الساذج الذي تلجأ إليه تلك الرسوم لبيان مواقف القصص، وهو مع سذاجته، يسجن خيال الطفل، ويحرمه حقه في التخيل وفي إطلاق هذا الخيال.

وإذا استخدمنا الصور المتتابعة في بيان أحد الموضوعات، فلتكن الصور كثيرة واضحة، جيدة الرسم، ولتكن الكلمات تحت الصور لا في داخل الصور، بحيث نجد أمامنا نصا أدبيًا متكاملا، لا تقوم الصور فيه بديلا في كتب المطالعة العربية للسنة الخامسة. والسادسة

الابتدائية. ويمكن استخدام كتابة الخطاط، بخط النسخ من حجم تلك الحروف، أو أكبر قليلا، وتستخدم الخطوط الجميلة الواضحة في العناوين.

ولنستخدم اللغة العربية الفصحى البسيطة، التي تساعد على نمو قاموس الأطفال اللغوي، ولا نستخدم اللغة العامية، ويراعي أن تزيد نسبة الأفعال وما يعبر عن استخدام الحواس عن نسبة الضمائر أو ما يعبر عن المعنويات.

كذلك يراعى إلا يزيد أي موضوع في المجلة على صفحتين، ويحسن أن يقتصر عدد من الموضوعات على صفحة واحدة، على أن تخصص أكثر من صفحة لتقديم أكثر من فقرة واحدة.

كما أنه لا ينقص من قيمة المجلة أو من الإقبال عليها، أن يكون ورق الغلاف من نفس نوع ورق صفحات المجلة.

المواد المناسبة للمجلة:

أولا: تتكون المجلة من ١٦ صفحة بالغلاف، فهذا هو الحجم الاقتصادي الأمثل لمثل هذه المجلة. ويخصص الغلاف الأول لاسم المجلة، مع لوحة كبيرة ترتبط بأحد موضوعات العدد، مع العناية الشديدة بجمال رسم الغلاف وألوانه، لأن جمال الغلاف حاسم في إقبال الأطفال على قراءة المجلة والارتباط به.

أما الغلاف الأخير، فنرى، لقلة عدد صفحات المجلة، أن يستخدم في مادة تحريرية.

ثانيًا: التمثيل من أحب الأنشطة إلى الأطفال لارتباطه بنشاط اللعب الإيهامي أو التخيلي، وبالتالي فهو من أكثر الوسائل التربوية نجاحاً في جعل التلاميذ والأطفال عناصر إيجابية في العملية التعليمية. لكن عدم وجود النصوص الملائمة يقف حائلا ببين المدرسين وبين توجيه التلاميذ إلى هذا النشاط الخلاق. لذلك نقترح تخصيص صفحتين من المجلة لنشر نص مسرحي مناسب للأطفال من ١٠ إلى ١٢سنة.

وإذا كان النص مرتبطًا بالمنهج المدرسي، فيجب أن يراعى في رسم الشخصيات واختيار العقدة أن تصلح المسرحية –ليس فقط للسنة الدراسية التي اقتبسنا من منهجها موضوع المسرحية– بل أن تكون مشوقة لطلبة مختلف الفروق الدراسية بما تحتوي عليه من قيم درامية وإنسانية عامة: أي أننا نحذر من أن يكون النص المسرحي مجرد صياغة للمعلومات في شكل حوار، بل لابد أن تتوافر لمثل هذا النص كل عناصر الفني المتكامل. كذلك يمكن نشر نصوص خارج المنهج المدرسي.

ثالثـا: لابـد مـن فـتح السـبي أمـام الأطفـال والمدرسـين معًـا لاسـتخدام مختلـف الوسـائل التعليميـة، لتسـهيل اسـتيعاب المنـاهج المدرسـية. لـذلك يمكـن أن تتضـمن المجلـة موضـوعًا، فـي صفحة واحدة، يوضح للأطفال (وهو توضيح للمدرسين أيضًا): كيفية تحويل أحد الدروس إلى مسرحية، أو طريقة عمل مجلة حائط أو بيان وسائل صنع عرائس القفاز (الجوانتي)، أو تقديم إرشادات حول خبرة مهنية مثل الخياطة أو النجارة، أو تقديم البيانات لتنمية هوايات الجمع أو الادخار (مثل جمع الطوابع أو تربية طيور الزينة أو دودة الحرير أو الحمام)، أو كيفية إجراء تجربة في نادي العلوم، أو كيفية صنع نماذج الطائرات ا، الصواريخ.

رابعًا: إن تنمية الميول والاتجاهات الأدبية شيء أساسي وهام، لذلك لابد من الاهتمام بنشر قصة قصيرة ذات صياغة فنية ممتازة، ومغزى علمي أو أخلاقي أو ديني بشرط أن يجئ هذا المغزى بطريقة فنية، مع مراعاة الاهتمام الشديد باللوحة أو الرسوم التي تنشر مع هذه القصة. ونقترح أن يخصص للقصة والرسوم المرافقة لها صفحتان من المجلة.

خامساً: يبدأ الطفل في هذه المرحلة في البحث عن البطل والمثل الأعلى، فلابد أن نقدم له –في صفحة واحدة– أد هذه النماذج، من الواقع المعاصر أو من التاريخ. لنؤكد المثل والقيم التي يهمنا أن ننميها في أطفالنا، وذلك من خلال موقف أو مواقف في حياة شخصية بارزة علميًا أو رياضيًا أو فنيًا أو دينيًا.

سادسا: لابد من الاهتمام بالثقافة البدنية، لخلق العادات الصحية التي تدور حول المشي والنوم والجلوس والمذاكرة وتناول الطعام، مع ربط هذه العادات بمختلف مواد المنهج، مع تقديم وصف لبعض التدريبات البدنية، وتوضيح فائدة كل منها. ونقترح تخصيص صفحة واحدة للثقافة الصحية والرياضية، تتضمن موضوعًا واحدًا أو عدة فقرات.

ثامنًا: تتجه اهتمامات الأطفال في هذه السن إلى التعرف على ما هو خارج محيطهم المعتاد، لذلك لابد أن ندفع الأطفال للخروج من دائرة المنزل أو المدرسة لاكتشاف أماكن جديدة في بلدهم، قد تكون متحفًا أو منطقة أثرية، أو مشروعًا صناعيًا، أو محطة تجارب زراعية، وأن نربط هذا بحفز الأطفال للبحث عن معلومات أكثر في كتب المكتبة المدرسية حول موضوع الزيارة.

تاسعًا: لابد من تدريب الطفل على اختيار أفضل الكتب وأفضل الأفلام، وأفضل برامج الإذاعة أو التليفزيون، لذلك يمكن تخصيص صفحة لتوجيه اهتمام الأطفال إلى ما بناسبهم في برامج هذه الوسائل الإعلامية والثقافية، وذلك كوسيلة لتنمية قدراتهم على الاختيار، وعلى التمييز بين الجيد والسيئ فيما تقدمه هذه الوسائل من مواد.

عاشرًا: يحب الطفل الحركة واستخدام مختلف حواسه وقدراته للتعرف على العالم المحيط به، ولقضاء وقت فراغه، وعلى المجلة أن تعاون الطفل على اكتساب مهارات جديدة، ويكون هذا رائدنا في اختيار الألعاب والفوازير والتسليات والهوايات.

لذلك فمن المهم أن نقدم في كل عدد إرشادات عن لعبة جماعية يمكن أن يلعبها الطفل مع زملائه في الفصل أو خارجه.

وأن يتضمن كل عدد من أعداد المجلة عددًا من الأسئلة والفوازير التي يمكن تقديمها بطرق وأساليب مختلفة، والتي تشجع الأطفال على البحث عن إجاباتها في مكتبة المدرسة أو من البيئة، وذلك فيما يرتبط بالمواد الدراسية كلما أمكن.

إن لعبة مثل "الكلمات المتقاطعة"، إذا كانت كلماتها تدور حول التاريخ والجغرافيا والعلوم وموضوعات كتب المطالعة، يمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة.

كذلك الفوازير الخاصة بالأرقام، لما تتيحه من تنمية القدرات في مجال الرياضيات. والفوازير الخاصة بالأشكال لعدد من الفقرات لا يقل عن أربعة، ويمكن أن يصل إلى ستة أو سبعة تدور حول هذه الموضوعات

أحد عشر: حب المرح سمة مميزة لنفسية الأطفال، والفكاهات المرسومة بالكاريكاتير من أحب الموضوعات إليهم، خاصة بعد سن ٨ سنوات، لذلك نقترح تخصيص صفحة لعدد من الرسم الكاريكاتيرية ذات المضمون الفكاهي والتوجيهي معًا.

ثاني عشر: لابد من ربط الطفل ببيئته، مع ضرورة تعريف أبناء المدن بمشاكل أبناء الريف، لذلاك نرى تخصيص صفحة حول أحد الموضوعات التي تتناول بيئة الطفل في الريف، ليزداد فهمًا لها ووعيًا بطريقة التعامل معها.

ويمكن تقديم هذا الموضوع بطريقة الرسوم المسلسلة، بشرط أن يكون التعليق تحت الصور وليس بداخلها، وباللغة العربية السهلة السليمة.

ثالث عشر: يجب الاهتمام بأن تجئ الثقافة الدينية والأخلاقية بين ثنايا مختلف الموضوعات الأخرى، مع تخصيص صفحة للثقافة الدينية، ويفضل أن تقدم على شكل عدد من الفقرات القصيرة المنفصلة، يتناول كل منها فكرة واحدة بسيطة سهلة الاستيعاب.

ونود أن نشير إلى انه من السهل على الكاتب الذي يستوعب جيدًا مواد المنهج المقرر على السنتين الخامسة والسادسة الابتدائية، أن يجد موضوعات كثيرة يمكن أن يستفيد بها عند

obeikandi.com

صياغة موضوعات المجلة التي اقترحناها فيما سبق، بحيث تكون صياغة لها متفقة مع قواعد الفن، ومشوقة للقارئ حتى لغير الملتحقين بإحدى هاتين السنتين الدراسيتين. ذلك أن المضمون الجيد لابد أن يقدم أيضًا بأفضل الطرق الفنية.

obeikandl.com

أدب الأطفال وعقدة شهريار

ونحن نتحدث عن مجلات وكتب الأطفال،لابد أن نقف وقفة متأنية أمام وغير متكملة الشخصية، وأنها أضعف منه. وكثيرًا ما نتساءل عن السر في "استمرار" هذه النظرة من الرجل إلى المرأة، برغم تغير كثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمرأة.

تجيب على هذا التساؤل دراسة بعنوان "مجلات الأطفال العربية وتكوين المفاهيم".

اكتساب وليس وراثة:

وتبين هذه الدراسة الميدانية، التي قامت بتحليل عينات من مجلات وقصص الأطفال، أن تربيتنا بمختلف صورها هي التي تضخم دور الرجل، وتقلل من شأن المرأة، وأن هذا التصور الذي تقدمه التربية، ينعكس على الفتاة نفسها، فتقنع بأن هذه طبيعتها الحقيقية.

فالأمر إذن ليس أمر وراثة أو طبيعة فطرية، بل هو تصور يكتسبه أفراد المجتمع من خلال التربية في مرحلة الطفولة.

وتقدم الدراسة التي قامت بها الباحث "حازم النعيمي" الدليل على ذات، بتحليل عينات من مجلات الأطفال المصرية، والتي ترأس تحريرها سيدات.

obeikandi.com

شخصيات الأبطال:

وتبدأ الدراسة بإبراز حقيقة غريبة، هي أنه لا توجد مجلة أطفال عربية اسمها مؤنث، بل كلها مذكرة، مثل ميكي، تان تان، سمير، أسامة، حسن، ماجد، سعد!! وهي في نفس الوقت أسماء البطل الرئيسي لكل مجلة.

ومن تحليل عينات من مجلات الأطفال، تبين أن من بين ٨ شخصيات رئيسية في مجلد يضم ١٢ عددًا، توجد فتاة واحدة، وتبين أن نسبة الشخصيات النسائية إلى مجموعة شخصيات القصص ١٣%، في حين أن نسبة شخصيات الرجال ٨٧%.

وظائف الرجل والمرأة:

وبالنسبة للوظائف التي حددتها القصص لكل من المرأة والرجل، تبين أن مهن ووظائف الرجال تشمل أغلب أنواع النشاط الاجتماعي والاقتصادي مثل: طبيب، عالم، مخترع، ضابط، كشاف، رئيس عصابة، رياضي، على حين أن الأعمال المخصصة للمرأة قليلة جدًا، لا تتعدي الوظائف المساعدة غير الهامة، مثل: مضيفة، سكرتيرة، تلميذة، خادمة، جاسوسة.

الصفات والسلوك:

وبالنسبة للسلوك والصفات الشخصية في القصص المقدمة للأطفال، تبين أن الصفات الإيجابية للرجل أكثر بكثير من الصفات الإيجابية بالنسبة للمرأة. كذلك فإن الصفات السلبية للرجل تنسب لشخصية ثانوية بهدف إبراز الصفات الإيجابية لبطل القصة، أما الصفات السلبية للمرأة، فهي لصيقة بها، وغالبة، والصفات الإيجابية طارئة ونادرة، فلم تظهر مثلا إلا في حوالي ثلاث قصص من ٥٣ قصة.

فنحن نرى دائمًا شخصية البطل الذكر، في مجلات الأطفال، ذات طابع حيوي فهو ذكي، قوي، نشيط، مكافح، مخلص، شجاع، مغامر، مستقل، حسن التصرف، مع وجود بعض "الفهلوة" والإجرام والغرور في تصرفاته أحيانًا، وهو صاحب الكلمة الأخيرة في القصة والموضوع، أما المرأة فهي تؤدي مؤدبة، ومطيعة، ومضحية، وضعيفة، وتستحق العطف، وفي أحيانا قليلة، لديها بعض الذكاء وحب الرياضة والعمل.

تصحيح الاتجاهات:

إن هذه المجلات والقصص تترك انطباعًا عامًا لدى الأطفال، البنات والأولاد، بأن الرجل هو العنصر الأفضل والحيوي، والمرأة العنصر الأقل شأنا والسلبي في المجتمع.

هذا في حين أن المطلوب من أدب ومجلات الأطفال أن تقوم بتصحيح اتجاهات المجتمع الخاطئة، وأن تنمى في الأطفال المفهوم الصحيح لوظيفة المرأة، وقدراتها ودورها في بناء المجتمع.

obeikandl.com

الواقع الفعلي لمجلات الأطفال

يعود رواج مجلات الأطفال، إلى أن الطفل يجد فيها أشياء كثيرة تعوض عن نقص الخبرة، أو عدم إجابة الوالدين عن أسئلته، أو نقص فرص اقتحام الحياة، فتقدم له قصصًا في صور متتابعة أو مغامرات أبطال في البحار والغابات والجبال، وقصصًا واقعية وقصصًا مسلية أو فكاهية وموضوعات رياضية.

لكن كثيرًا من الناشرين يقدم هذه الموضوعات بطريقة لا يهمه فيها إلا جذب اهتمام القارئ الصغير، حتى لقد صدرت فرنسا في عام ١٩٤٥ قانونًا خاصًا بمطبوعات الأطفال جاء في المادة الثانية منه ما يلي:

"ويحجب إلا تحتويه المطبوعات المخصصة للأطفال أو المراهقين على قصص أو صور أو تقرير أو فقرات أو تعليقات تتضمن الإشادة بأعمال اللصوصية أو الكذب، أو السرقة، أو الجن، أو الكراهية، أو الفجور، أو أي أعمال أخرى مكون للجريمة أو المخالفات التي يحتمل أن تفسد أخلاق الأطفال أو المراهقين ولا يجوز أن تحتوي على إعلان أو دعاية مطبوعة قد تفسد أخلاق الأطفال أو المراهقين".

ويؤكد الواقع الفعلي أن معظم مجلات الأطفال لا تقوم بدورها الحيوي والهام بل تقوم بعكسه، ويكفي هنا أن نشير إلى مؤتمرين عقدا في مدينة ميلانو بإيطاليا الأول في أكتوبر سنة ١٩٥٠ والثاني في مارس سنة ١٩٥٢ لبحث موضوع الرقابة على صحف الأطفال، وانتهى المؤتمران إلى توصيات يتضح منها مدى ما ساد مجلات الأطفال في العالم من انحراف عن رسالتها وغايتها. فقد جاء في تلك التوصيات ما يلي:

obeikandl.com

١- نظرًا لما لاحظته اللجنة على صحف الأطفال من تصويرها الحياة لقرائها على أنها سلسلة طويلة من الفخاخ المؤذية التي يجب عليهم أن يكافحوا لتفاديها، ومن الكفاح الدائم "للانتقام" للأرامل واليتامى ومن إليهم، فإنه تناشد هذه الصحف الحد من عنف موضوعاتها وأن تفضل عليها الموضوعات الهادئة المتزنة.

٢- إن ترويج الأدب الذي يصور التعس والشقاء من شأنه أن يوقع جمهور الأطفال في حيرة، فإما أن تخور عزائمهم وتتخاذل أمام ما ينتظرهما من أعمال، وإما أن يندمجوا في الجو الذي يصوره هذه الأدب ويحاولوا أن يتقمصوا هذه الشخصيات الحزينة التي ترسمها لهم صحفهم.

٣- إن ضرورة وقوع سلسلة متصلة من حوادث العنف الجنوبية، قبل أن ينتصر البطل الذي يأخذه بناصر "المظلومين" في القصة، مسألة تحتاج إلى بحث ولا يكفيي أن تنتهي القصة بعقاب المجرم أو الخائن، بل ينبغي أن يكون سلوك أشخاص القصة من بدايتها إلى نهايتها سلوكًا سويًا لا شذوذ فيه (لأن الأطفال يتأثرون بالقدوة المتمثلة في أحداث القصة، أكثر كثيرًا مما يتأثرون بعبارة تدين الأفعال الخاطئة تقال في نهاية القصة).

٤- إن التمييز التعسفي بين قطاع الطريق والأبطال المناصرين للمظلومين، دليل على جدب الخيال (بمعنى لا يوجد فارق حقيقي في قصص تلك المجلات بين النوعين) فيجب أن ليكون كل من النوعين مزيد من الفردية، كما يجب أن يكون سلوكه متفقا مع شخصيته.

٥- يبدو أن أعمال أشخاص الرواية في المعسكرين المضادين لا تنبعث إلا عن الضغينة أو الجشع، مع أن هناك بواعث أخرى يمكن أن تضاف إلى هذين الباعثين.

٦- في هذه الشخصيات هزال فكري، لا يضارعه إلا فقرها العاطفي المدقع.

٧- يبدو هذا الهزال الفكري في الرسوم، فكثيرًا ما نرى الأشخاص فيها يسلكون سلوكًا حيوانيًا خالصًا.

٨- تدور جملة القصة دائما حول القتل ومحاولة بعض الأفراد الاعتداء على حياة الناس، ومن شأن هذا أن يحدث في نفوس الأطفال عقدة الاعتداء، وينفرهم من المجتمع بشكل قاع.

٩- كثيرًا ما تقف المسلسلات وتنتهي عند عمل من أعمال العنف والجريمة (وهو ما يؤدى إلى تصوير العنف تصويرًا مبهرًا، وكأنما فيه حل لكل المشاكل).

١٠- الشعور العنصري واضح جدًا في صحف الأطفال (أي أنها تؤكد أفكار التمييز العنصري كما في قصص طرزان).

١١- يصور الزنوج في هذه المسلسلات وهم يسلكون سلوك الحيوانات، ويبدو البيض دائماً أرفع منهم وأسمى.

١٢- يخترع الكاتب قصصًا خيالية دون سند عقلي أو أساس علمي (كما في قصص سوبرمان أو الوطواط وأمثالهما من الشخصيات الخارقة للطبيعة).

١٣- يتسم الأبطال عادة بالوحشية والتجرد من الخوف أو الرحمة أو الحاجة إلى المال.

١٤- إن الصور أصبحت تحتل مكان الكلام في جميع صحف الأطفال (مما يضيع على الأطفال الفرصة لتنمية ثروتهم اللغوية، وبصرفهم عن بذل أي يجهد في تعلم القراءة، ويجعل الكتب تبدو لهم ثقيلة ومملة).

وفي تقرير هام جدا صدر عام ١٩٥٣ عن اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافية)، وهو تقرير عن صحف الأطفال وأفلامهم واذاعاتهم في مختلف بلاد العالم، بين التقرير الأضرار الجسمية التي تقدمها مجلات مثل: طرزان، وسوبرمان، والوطواط، وأكد التقرير أن صحف الأطفال بشكلها الحالي، تعد بغير شك في الدرجة الثانية من حيث الوحي والإلهام، فضلا عن خلوها من الأفكار الجديدة، وأنها تبدى تساهلا لاحد له في سبيل إرضاء ذوق جمهورها، الذي يزداد ميله إلى المغامرات ويتناقض ميله إلى بذل أي مجهود ذهني.

ثم قال التقرير: "ويجب اعتبار أسطورة الرجل الخارق للطبيعة من المواد الواجب حذفها –يجب أن يختفي هذا الرجل لتحل محله مخلوقات إنسانية معقولة قريبة إلى الواقع قريبة إلى الواقع. أما شخصية راعي البقر، فيمكن استخدامها مع تجنب الأثر البالغ الضرر الذي تحثه شخصية الرجل الخارق للطبيعة، وطالما كانت القصص المستمدة من التاريخ لا تنطوي على تشويه كامل أو جزئي للحقائق، فإنه تصلح لتعليم الأطفال. وينبغي ألا تبالغ قصص الحرب في تمجيد القوة الغاشمة أو تنغمس في مشاهد مفزعة لا مسوغ لها. ويجب تقديم النواحي الاجتماعية والإنسانية على ما عداها، كما ينبغي أن تتخذ القصص البوليسية شكلا آخر يكون التوتر قائمًا على النواحي المرحة أو الروائية، وآخر ما نذكره وإن لم يكن أقله شأنًا، أنه يجب أن يبذل كل جهد ممكن لتحسين قصص الرسوم الفكاهية، والقصص المضحكة في صحف الأطفال، فإذا

أمكن رد الشعور بالضوء والظل إلى القراء والصغار، والمحافظة على قدرتهم على قبول الأقاصيص الخيالية الرقيقة، أمكن النهوض بمستوى جودة صحف الأطفال وتحسين طرقة عرضها".

وفي العالم العربي، نجد كثيرًا من المجلات المترجمة التي لا تهدف إلا إلى زيادة التوزيع على حساب أية قيم أو معرفة يهمنا أن نغرسها في أطفالنا، بل هي كثيرًا ما ننمي قيمًا ضارة ومضادة لقيم مجتمعنا.

وحتى لو غضضنا الطرق عما ينشر بتلك المجلات أحيانًا مما لا يلائم أطفالنا، فهي على أي الأحوال لا تتبني ما يهمنا أن نغرسه في أطفالنا، ولا تؤكد على العادات والقيم التي لابد للطفل العربي أن يعايشها في مجلته التي يطالعها كل أسبوع.

كما أن هنا نقصًا شديدًا في مجلات الأطفال التي تصدر في كل بلد من البلاد العربية.

لذلك صدرت التوصية التالية عن حلقة "العناية بالثقافية القومية للطفل العربي" التي عقدت في بيروت في شهر سبتمبر ١٩٧٠، تحت رعاية الإدارة الثقافية بالأمانة العامة للجامعة الدول العربية.

أولا: أن تتبني جامعة الدول العربية مشروع إصدار سلسلة من ثلاث مجلات للأطفال تصدر شهريًا على الأقل على مستوى الوطن العربي تخاطب أطوار الطفولة المختلفة (من ٣إلى ٦- ومن ٧ إلى ١١- ومن ١١- إلى ١٥) على أن يقوم بتحريرها متخصصون من جميع الدول العربية. وأن تعني بالجانب القومي والثقافي والعلمي.

ثانياً: وقف صدور المجلات الأجنبية المترجمة، والتي لا تتفق مع قوميتنا وعاداتنا، والثقافة المطلوب تقديمها للطفل العربي.

ثالثًا: تييسر وصول المجلات المحلية الصالحة إلى مختلف أرجاء الوطن العربي، مع توجيه المشرفين عليها إلى الاهتمام بالنواحي العلمية.

الطفولة والبطولات القومية

الراشدون وتكوين قيم الأطفال:

في هذا الفصل، نقدم نموذجًا لأسلوب معالجة أحد الموضوعات الأساسية في كتب ومجلات الأطفال، هو موضوع النموذج أو القدوة، خاصة في مجال البطولات القومية.

فأبحاث علماء النفس تؤكد على أن القدوة أو المثال أحد العناصر الأساسية الحاسمة في تشكيل وتحديد معظم القيم والاتجاهات، والأخلاقيات وطرق السلوك لدى الأطفال.

إن نظريات علم النفس تؤكد على أن بناء الشخصية وتكوين الذكاء والقدرات العقلية لدى الأطفال، إنما هي انعكاس للواقع الثقافي المحيط بهم، وفي وأن الخصائص الشخصية والمستويات العقلية. لا تتوفر للفرد منذ طفولته في شكل عناصر وراثية، أو في شكل خصائص جاهزة الصنع، وإنما تتشكل في مواقف وظروف اختلاط الطفل بالكبار، في عمليات استيعاب الخبرة الإنسانية العامة.

إن المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل، هي التي تحدد إلى حد كبير سلوكه وخلقه في المستقبل، فالجماعة هي التي تعطي القيم لبعض الاتجاهات وأساليب السلوك، ثم تربي الصغار على تقديرها: وهذا هو السبب في اختلاف الأطفال باختلاف البلاد والبقاع التي يولدون ويشبون فيها.

obeikandl.com

وفي السنوات السابقة على المراهقة تستمر عملية تكوين فكرة المرء عن نفسه من حيث علاقته بالآخرين. ويرتبط تطور نمو هذه الفكرة إلى حد كبير باتجاهات "الغير" من الآباء والمدرسين والراشدين.

ونظرًا لافتقار الأطفال إلى معيار موضوعي لتقييم الذات، فإنهم يعتمدون على ما يعتقدون أنه الصورة التي يرديهم الآخرون أن يكونوا عليها، بالتالي فهم يعتمدون على التشبه بسلوك الراشدين وقيمهم، وما يتصورون أنه فكرة الكبار عنهم.

التعلق بالأبطال أبرز مظاهر تأثر الأطفال بسلوك الراشدين:

ومن أبرز مظاهر السلوك التي تؤكد اتجاه الأطفال إلى التشبه والتأثر بمن يحيطون بهم، ظاهرة التعلق بالأبطال، التي تبدون كأوضح ما تكون في بداية سنوات المراهقة.

فقد دلت الدراسات الخاصة بموضوعات القراءة التي يميل إليها الأطفال، أنه سواء بالنسبة للأولاد أو البنات، فإنهم يميلون ميلا كبيرًا، في جميع الفقر الدراسية، نحو سير الأبطال.

وفي بحث أجزاه في مصر الدكتور محمد حامد الأفندي حول "موضوعات القراءة" دلت الاختبارات على أن الطلاب من البنين في السنوات الدراسية الثلاث من الدراسة الثانوية، يفضلون في المرتبة الأولى، قصص البطولة أما بالنسبة للبنات، فإنهن، في السنة الأولى الثانوية قد فضلن في المرتبة الأولى، قصص البطولة والموضوعات العاطفية، وفي السنتين الثانية والثالثة، فضلت البنات في المرتبة الأولى الموضوعات العاطفية، وقصص البطولات في المرتبة الثانية.

كذلك يقلد الأطفال نجوم السينما، فيحاكونهم في سلوكهم وملبسه وتصفيف شعر رأسهم، وفي اتجاهاتهم وطرق حديثهم، كما يستعيد الصغار مشاهد الأفلام ويقومون بأدوار الممثلين في أثناء لعبهم، ويكتسب المراهقون من ملاحظة سلوك الممثلين في المواقف الاجتماعية، عادات اجتماعية جديدة في حياتهم اليومية.

التعلق بالأبطال أحد مظاهر سلامة النمو:

إن الأطفال منذ بداية المراهقة ياخذون في الابتعاد، إلى حدا ما، عن الأمور الوجدانية والخيالية وتزداد عنايتهم بالحقيقة الواقعة وتظهر عندهم بقوة غزيزة المقاتلة وحب السيطرة. ويشترك الطفل مع غيره من الأطفال في جماعات، مغامرًا في عمل من الأعمال، أو محاربا

لفرق أخرى، أو مشتركًا في ألعاب تظهر فيها المنافسة والشجاعة، ويكون اهتمام الأطفال بالأبطال واحدًا من أبرز صور التعبير عن هذا الاتجاه نحو ارتكاز خيالهم على عناصر واقعية.

إن بروز طفل ليكون زعيمًا بين جماعة الأطفال الذين يحيطون به أمر شائع ومعروف. هذا الزعيم أو القائد بين الأطفال هو ذلك الشخص الذي يستطيع أن يكون له أتباع ومريدون نتيجة تأثيره عليهم.

وفي فترة الطفولة المبكرة، نجد الزعيم هو أكثر الأطفال عنفًا وعدوانًا وسيطرة وفي أواخر هذه المرحلة، وأوائل مرحلة البلوغ، تذهب السلطة عن هؤلاء الزعماء تدريجيًا، ويبدأ الطفل في الشعور بذاتيه، مع ما يصاحب هذا من تغير في نظرته إلى الزعامة، إنه يريد من زعيمه شخصًا يمكن التعاون معه، لا شخصيا يسيطر عليه، شخصًا يؤثر فيه، ويكون نموذجًا له، يقدم له القدوة والنصح والإرشاد.

إن البطل الذي يتعلق به الطفل قد يكون مدرسًا أو رئيسا لناد، أو رجل دين، أو شخصية ليس للأطفال اتصال مباشر بها، كأحد نجوم الرياضة أو المسرح أو السياسة، وقليل من الأولاد والبنات الأسوياء النمو، في مجتمعاتنا الحديثة. من تخلو حياتهم من هذه الخبرات تزيد من معرفة الطفل بنفسه وبغيره، وهي تتحول شيئا فيشيئا من الإعجاب الانفعالي المفرط، إلى التقدير الواقعي الذي لا تشويه المبالغات العاطفية.

إن التشبه بالأبطال وبأعمال البطولة، هو تطور صحي بالنسبة لاتجاه خيال الأطفال، وذلك عندما يتعلقون بموضوعات يجدونها فيما يطالعونه، وفيما يشاهدونه من مسرحيات وأفلام، وفيما يسمعونه من برامج إذاعية، وذلك بدلا من مرحلة التخيل الحر، التي هي أحد مميزات مرحلة ما قبل المراهقة.

فبحث الطفل عن البطل أو الزعيم هو تعبير عن حاجة نفسية أساسية لدى الأطفال، للعثور على القدوة أو المثال. إنه وسيلة رئيسية من وسائل النمو. والانتقال من مرحلة إلى مرحلة، وسعى الطفل لأن يكون مقبولا وذا مكانة بين رفاقه. وبذلك يصبح البطل لدى الأطفال عنصرًا هاماً في تشكيل قيمهم واتجاهاتهم وأخلاقياتهم وطرق سلوكهم.

وبالتالي أصبح على المسئولين عن ثقافية الأطفال وتربيتهم أن يضعوا أمام الأطفال، بكل الطرق المتاحة، نماذج للأبطال في مختلف نواحي القيم والسلوك، حتى لا يضل الطفل أو المراهق خلال بحثه عن بطله الذي يقتدي به.

إن كل فرد في هذا الطور يبحث عن مثل أعلى خلقي أو اجتماعي يقتدي به كل ناحية من هذه النواحي إلى بطل، يحسم ما يتطلبه المجتمع في الطفل من سلوك وقيم وأخلاق لهذا يجب أن نضع أمام الأطفال، في هذه المرحلة، أنماطًا مختلفة من البطولات، بحيث يستطيع كل طفل أن يعثر على نموذجه الذي يتفق مع أكثر ميوله إلحاحًا وبروزًا.

كيف نقدم البطولات للأطفال:

إن تقديم البطولات للناشئين، يمكن أن يتم بجميع وسائل الاتصال بالأطفال: بالقصة والكتاب، بالمسرحية والفيلم، بالأغنية والأسطوانة، بالبرامج المسموعة والمرئية، بالتماثيل في أفنية المدارس وجوانب الميادين العامة، بالصور واللوحات في الكتب أو على جدران غرف الدراسة، بالنحت البارز والفسيفساء على واجهات ومداخل المباني العامة، وقاعات المؤتمرات والمحاضرات، وأماكن العروض الفنية. بالاهتمام بمختلف مظاهر تكريم الأبطال، مثل إنشاء المباني التذكارية العظيمة التي تضم رفاتهم، أو بإطلاق أسمائهم على الأماكن العامة، مثل الميادين والشوارع والجامعات وقاعات المحاضرات والمسارح، أو تحويل مساكنهم إلى متاحف، وإقامة متاحف تضم مخلفاتهم وتجمع ما أنتجه الفنانون لتجنيدهم.

إن الأمر يتطلب تضافر كل هذه الوسائل لنضع أمام الأطفال بصفة مستمرة، وبأقوى الوسائل إلحاحا وتأثيرًا النماذج البارزة من بطولاتنا القومية في مختلف النواحي، علمية أو اجتماعية أو دينية أو فنية أو عسكرية. نضعها أمامهم في البيت والشارع والميدان والمدرسة، في المسرح ودار السينما، في الإذاعة والتليفزيون. في الصحف والمجلات والكتب، بحيث تصل إلى كل الأعمار، بما يناسبها من قيم وأخلاقيات وسلوك. ولا يكفي أن نذكر أبطالنا مرة كل عام، في ذكرى مولدهم أو وفاتهم أو استشهادهم، بل لابد من أن نبرز من حياتهم، بصفة دائم، ما نريد أن نعمقه في أطفالنا من قيم واتجاهات، عن طريق مختلف الوسائل الفنية والثقافية. ولنأخذ مثالا على هذا، بلدًا مثل فرنسا، فحيثما اتجهنا، نجد تمثالا أو صورة لجان دارك، أو سانت لويس، أو نابليون. وفي كل مكتبة نجد عشرات الكتب التي تناسب مختلف الأعمار، تدور حولهم، وفي كل مدينة وفي كل حي، نجد المزارات القومية الخاصة بهم، من كاتدرائيات رائعة، ومباني عظيمة تضم رفاتهم، أو تخلد ذكراهم، أو متاحف لمخلفاتهم، حتى أنه يستحيل أن نجد طفلا فرنسيًا بلغ الثامنة من عمره، لا يعرف كم أحب هؤلاء الأبطال بلدهم، وكم ضحوا في سبيله. ونجد نفس الشيء في انجلترا، حول شخصيات مثل ريتشارد قلب الأسد، ونلسون، ولفنجستون، وفلورنس نايتنجل، ولعل هذه النماذج ركزت عليها

الثقافية الإنجليزية في تمجيد أبطالها خلال القرون القليلة الماضية، كانت من أهم الوسائل التي شكلت بها هذه الأمة الاتجاهات الاستعمارية في نفوس أطفالها وشبابها.

تراجم الأبطال، والفرق بينها وبين كتابة التريخ:

لكن لاشك أن الكتابة الأدبية ستظل أهم الوسائل وأوسعها انتشار لتقديم الأبطال وبطولاتهم إلى أطفالنا وشبابنا، وستظل الكتب المصدر الأساسي، الذي نستد إليه مختلف وسائل الاتصال الثقافية الأخرى الخاصة بالأطفال. لذلك فإن ترجمة حياة الأعلام لابد من أن تكون واحدة من المشاغل الأساسية لكتابنا، مع الحرص على ألا تكون كتاباتهم مجرد تسجيل للتاريخ.

يقول في هذا الدكتور زكي نجيب محمود في مقال "تراجم الأعلام":

لابد من الترجمة لأعلامنا، ماضيهم وحاضرهم على السواء، وإلا فمن أين لشبابنا أني يرى الصور التي تكثفت فيها خصائص أمته وملكاتها؟ إنه لكثير ما قيل عن التربية الخلقية، إنها تركزت على ركيزتين، هما: "المبدأ" و"المثال" أما المبدأ فهو الذي تقول به للناس من الوجهة النظرية إنه يجب علينا أن نفعل كذا وأن نستهدف كيت.

وأما الركيزة الثانية –وهي التي كان ينبغي لها أن تكون الأولى والثانية معًا– فهي "المثال" بمعنى أن تجسد ما تريده من المبادئ في أشخاص حقيقيين، عاشوا تلك المبادئ دون أن يرددوا ألفاظها.. والطريقة إلى تقديم "المثال"، هي أن يضطلع كاتب بترجمة لحياة شخص شهده تاريخنا القديم أو الحديث، يشهد منه موقفًا عمليًا كان بمثابة التطبيق الفعلي لما نريده لأنفسنا من طرائق الفكر وقواعد السلوك.

والحق أننا لم نغفل قط في أي مرحلة من مراحل تاريخنا الأدبي، عن كتابة التراجم للنوابغ.. فهل أفلحت تلك التراجم الكثيرة في ترسيخ "المثال" في آذهاننا حيًا مجسدًا؟ أخشى أن يكون الجواب بالنفي.

فإذا التفتنا إلى أدبائنا الكبار، الذين رفعوا أمامنا صورًا لأبطال ماضينا، وسألنا: لماذا لم تترك أعمالهم النبض الحي في نفوس شبابنا؟ فالجواب الذي أقترحه لهذا السؤال هو: أنهم كتبوا التراجم وكأنهم يكتبون مؤلفات في التاريخ.. فكان المنهج هو منهج المؤرخ الذي يجمع الوقائع والشواهد والأخبار ويثبت من صحتها ثم يرتبها على النحو الذي يجعلها صورة متماسكة.

لكن لكتابة التراجم طريقة أخرى –لعلها حديثة الظهور في تاريخ الأدب العالمي كله– وهي طريقة "القصة". والفرق بينها وبين قصة الأدب الروائي، هو أن هذه من خلق الخيال، وأما

تلك فتلتزم الوقائع الذي وقع، فترجمة الحياة مزيج من القصة التاريخ، فيها من القصة الأدبية طريقتها، وفيها من التاريخ صدق الوقائع.

مترجم الحياة يقدم لك "شخصًا فردًا وفريدًا في أفعاله وردود أفعاله، على شرط أن يكون محور التفرد في صميم العظمة منه، لا في تفاهات الظواهر الحركية والكلامية.. وأن يجعل محور التركيز هو "هو "العمل الذي يجعله عظيمًا".

معنى هذا، أنه كان باحث التاريخ يلتزم الموضوعية وينقب عن الحقيقة فيذهب إلى المصادر والوثائق والآثار وغيرها من الوسائل الأساسية لكتابة التاريخ، فإن الأطفال والشباب في حاجة اجتماعية وسياسية واقتصادية. ولابد لمن يكتب للأطفال أن يقرن الحقيقة والواقعة، بما يفسرها وبما يستخرج منها من الاتجاهات والقيم اللازمة في عملية التربية التي يصيغها الكبار، من أجل صناعة المواطنة وتخليق صفاتها عند هؤلاء الأطفال والشباب، وليس معنى ذلك انحراف كتابة التاريخ لهم عن الحقيقة، أو خروجها عن الموضوعية، وإنما معناها أن الحقائق الصامتة والأحداث المجردة لا تؤدي إلى ما ينبغي أن تهدف إليه كتابة التاريخ لقطاع الأطفال والشباب.

ولعل عدم إقبال أطفال على مطالعة ما بين أيديهم من كتب عن البطولات والأبطال، سببه الأساسي ان هذه الكتب التي كتبت خصيصاً للأطفال لم تتنبه إلى هذا الفارق الجوهري بين كتابة القصة وكتابة التاريخ، فأصبحت أقرب إلى جفاف التاريخ، منها إلى حيوي وجمال وتشويق العمل القصصي الناضج.

حرية الكاتب في اختيار الأحداث:

وما دام الهدف من تقديم الأطفال والبطولات إلى أطفالنا هو التربية وليس تعليم التاريخ، فإن الكاتب لا يكون ملزمًا، بالتالي، بذكر كل الأحداث التاريخية المتعلقة بموضوعه، لا أن يذكرها بنفس تسلسلها التاريخي، بشرط إلا يؤدي ذلك إلى تغيير جوهري في الحقيقة التاريخية، إن حرية الكاتب في اختيار حدث أو أحداث محددة، يدير حولها قصته، هو عنس رمن أهم عناصر نجاح العمل الفني.

كما أن للكاتب حرية اختيار أحد التفسيرات المقبولة لواقعة معينة، وليس لزامًا عليه أن يذكر كل وجهات النظر أو أن يناقشها. بل إن من حق الكاتب القصصي أن يأخذ الروايات الضعيفة، مادام ذلك في صالح إبراز القيم والاتجاهات التي يتوخاها في موضوعه.

ولـه أن يبتـدع، فـي مجـال الـدوافع النفسـية، وجهـات نظـر جديـدة. ذلـك أنـه إذا كـان المؤرخـون قد اجتهـدوا فـي ذكـر الوقـائع وترتيبهـا، فقـلا كـانوا يبحثـون عـن الـدوافع النفسـية، لأن الوثائق لا تتضمنها عادة.

من حق الكاتب ابتداع الشخصيات والصور القصصية التي لا تتعارض مع التاريخ:

وما دمنا قد اخترنا أسلوب القصة كأفضل طريقة لتقديم البطولات القومية، فإن من حق الكابت أن يضيف إلى الشخصيات والأحداث التاريخية، شخصيات وأحداث جديدة، ما دامت لا تخرج عن الإطار التاريخي للشخصية أو الحادثة.

ذلك أن الضرورات الفنية والروائية قلما تجد حاجتها فيما ذكره التاريخ من أحداث ووقائع. بل إن معظم المؤرخين، على مدى التاريخ، جعلوا محور اهتمامهم الملوك والأمراء و والعظماء، ومـا يتعلـق بهـم، دون اكتـراث كبيـر بمـا فعلـه أفـراد الشـعب العـاديين، خاصـة إذا كـانوا ثـوارًا أو مجددين. وإذا تناولوا حياة المصلحة أو القادة فإنهم كانوا يتناولونها من جوانبها لعامة فقط، دون نواحيها الخاصة، التي تقربها إلى نفس الطفل، وتمد القصاص بعناصر التشويق والحياة لعمله الفني.

عدم التزام الكاتب بعرض السلبيات ومناقشتها:

وفي ضوء ما نهدف إليه من توجيه المراهق إلى بطل يتمثل به، فانه لا يعاون على تحقيق هذا الهدف أن نتناول في عملنا الفني سلبيات البطل ومواطن ضعفه، وإلا أضعفنا بهذا ما نهدف إليه من وضع نموذج مثالي للسلوك أمام الطفل.

وإذا كان هناك من يقول إنه: "ليس من حق كاتب التراجم أن يغفر لمن يترجم له ضعفًا فيغطيهن لأن الأثر الوجداني يزداد في نفوسنا- وبالتالي يغرينا بمحاكاته- إذا جاءت الصورة بشرية لا ملائكية، وفي كل صورة بشرية ما فيها من قوة وضعف".

فإن هذا الرأي، إذا صح بالنسبة لمن يكتب تراجمه للكبار، فإنه يتعارض مع الهدف الذي ننشده من تقديم تراجم الأبطال والبطولات للأطفال، لتكون مثالا وقدوة ونموذجًا لهم في سلوكهم وقيمهم وأخلاقهم.

الترجمة من لغات أجنبية في مجال قصص البطولات:

كما أنه، لما كان كل مجتمع يبني ثقافة صغاره على النحو الذي يحقق مصالحه وأهدافه، ووجهات نظره الخاصة في مختلف نواحي الحياة، فلابد أن نحذر حذراً شديدًا عندما نترجم من لغات أخرى قصصًا عن البطولات أو الأبطال. فكل أمة لأطفالها، الذين يعيشون في إطار مواضعات سياسية وفكرية وأخلاقية وروحية معينة، وبالتالي فإن كل أمة تهدف إلى تمجيد تاريخها وانتصاراتها وبطولاتها، بالأسلوب الذي يؤكد قيمها هي، بما يمكن أن يؤدي، عند تقديم تلك القصص –دون تعديل– إلى أطفالنا شعوب أخرى، إلى إحساس هؤلاء بالدونية أو العجز أو التخلف، أو اعتناقهم قيمًا أو أساليب سلوك تتعارض مع أهداف أمتهم وأمنها وسلامتها.

الرسوم المصاحبة للنص:

ولما كانت الرسوم تعتبر عنصرًا أساسيًا في كتب الأطفال، ولما كان الناشرون قد تنبهوا إلى أنه ما دمنا نعتبر القصة الموجهة للأطفال عملا فنيًا وليست درسا في التاريخ أو العلوم، فإن الرسوم التي تصاحبها قصص الأطفال، يجب أن ألا تكون هي الأخرى دروسًا في تاريخ الأزياء أو العمارة أو أساليب المعيشة، بل أن تكون أعمالا تحبب الأطفال في الكتاب وتربطهم به.

لكن، لما كنا هنا بصدد قصص تدور حول البطولات القومية، فإن الإيحاء بالجو الذي عاش فيه البطل، أو الذي وقعت فيه الأحداث، أمر يساعد كثيراً خيال الطفل على تمثل حقيقة وقوع تلك الأحداث، وهو ما يعينه على بعث الأحداث حية نابضة أمام عينيه.

وإذا كان للمصور حرية ابتكار ملامح الأبطال والعلماء والمفكرين الذين لم يحتفظ لنا التاريخ بصور لهم، فإن المصور لابد أن يتقيد بالصور الشخصية لمن سجلت ريشة الرسام أو عدسة المصور وجوهم وملامحهم، وإن ظلت للفنان حريته في اختيار صورة البطل في مرحلة معين معينة من حياته، بحيث تكون الصورة أكثر تأثيرًا وانسجامًا مع الأحداث التي اختارها الكاتب محورًا لقصته.

بعض القيم التي يهمنا أن نبرزها من خلال قصص بطولاتنا القومية:

ولعل من أهم القيم التي يمكن أن نقدمها لأطفالنا من خلال قصص الأبطال والبطولات، التأكيد على أن العظمة الحقيقية هي في القدرة على تحمل المسئولية الاجتماعية بنجاح، مهما صادف الإنسان في ذلك من صعوبات أو مشاق أو جحود، وقدرة الأبطال على مواجهة القوى

الخارجية التي جابهتم، في صلابة وإيمان بالأهداف، دون يأس أو ضعف. وتذكير الأطفال بما قدمته أمتهم للحضارة والإنسانية من علم وفن ودفاع عن الحياة، وهو ما يؤثر تاثيرًا قويا وفعالا على مبلغ اعتزام الطفل بقومه، وزيادة وعي الأطفال بالأبطال الذين قادوا بلده في مواقفها الصعبة، وأنقذوها من محنها، وعملوا لإخراجها من مراحل التخلف والهزيمة، والذين ضحوا في سبيل مثل هذه الأهداف بكل راحة أو متعة أو كسب، وهو ما يثير الرغبة لدى الأطفال في خدمة وطنهم والتضحية في سبيله بكل شيء.

كما أن تقديم البطولات يجب أن يهدف إلى زيادة قدرة الأطفال على الإفادة من الماضي في تأمل الحاضر وتطويره، والسعي إلى مستقبل أفضل، وبحيث ينمو وعي الأطفال القومي، مما يجعلهم أقدر على الاستجابة لمشكلات وطنهم وآماله، كما ينمي قدرتهم على المشاركة في مختلف جوانب حياة أمتهم، فإنه بقدر ما يعطي الإنسان من جهد في حاضره يكون مستقبله، والمستقبل الأفضل يعنى مزيدًا من الجهد من جانب أبناء الأمة في حياتهم الحاضرة.

لقد شوه الاستعمار كثيرًا من صور أبطالنا وتاريخنا، وحاول تأكيد كثير من المفاهيم الهابطة التي عطلت حياتنا زمنًا طويلا، وعلينا، عن طريق تقديم مختلف بطولاتنا القومية لأطفالنا، أن نمحو تلك الصور، ونبث بدلا منها مفاهيم الجرأة والإقدام، وتحمل المسئولية، والعمل الدائم للخير العام.

obeikandl.com

رسوم كتب الأطفال

الأطفال والرسوم:

عندما يقول طفل في الثالثة إنه يقرأ، فمعنى هذا أنه يتأمل صورة في كتاب، ويعتبر عملية التطلع إلى الصورة "قراءة" إنه يردد أسماء الأشياء التي في الصور، أو يقلد أصوات ما بها من حيوانات.

وفي سن الرابعة، تصدر عن الطفل تعليقات تدل على المشاركة الوجدانية لما في الصور: "مسكين الولد. وقع على الأرض.. لا تبك.." ويخلق من الصور أصدقاء له، يستمدهم من الشخصيات المرسومة في الكتب التي ربما لا تتضمن أية كلمات.

وحتى سن السابعة، تأخذ الكلمات القليلة المكتوبة بحروف كبيرة، حيزاً صغيرًا بجوار الصور، يقرؤها الكبير للصغير، أو يتعلم الصغير قراءتها عندما يبلغ السادسة أو السابعة، لكن تظل الصورة هي البطل الحقيقي لكتب الأطفال.

إن كتب الأطفال تتميز باعتمادها الرئيسي على الرسوم البسيطة الملونة الواضحة، والتي تقوم بدور أساسي في جذب اهتمام الطفل، وفي تنمية تذوقه الفني. ذلك أن حصيلة الأطفال اللغوية لا تمكنهم من قراءة الموضوعات التي نقدمها إليهم بالكلمات، في ينتقل المعنى من خلال الصورة للأطفال في كل الأعمار، مهما اختلف اللغات أو اللهجات.

obeikandi.com

إن الكلمة المكتوبة تستدعى بعض الجهد لقراءتها وفهمها، في الوقت الذي لا تستدعي فيه الصورة ذلك، لأن الطفل يجد المتعة في التطلع إلى الصورة، مع سهولة فهمها، وطول فترة التأثر بها، لأنها تخاطب بصر الطفل وعقله وخياله، كما تناسب اعتماد الأطفال على البصر في التعرف على العالم المحيط بهم.

إن الرسوم ليست مجرد عنصر من عناصر إخراج الكتاب، بل هي مادة حية، لها قيمتها الجمالية والثقافية الكبيرة، وقد تفوق المادة المكتوبة في تأثيرها في بعض الأحيان، خاصة في قدرتها على توضيح كثير من الوقائع والمفاهيم.

إن الأطفال لا يفهمون المجردات، وكلما كانت تربية الطفل عن طريق حواسه قوية، كان تعليمه عن طريق المجردات، فيما بعد، أسهل وأقرب إلى النجاح.

وعبر مسيرة الإنسان الطويلة، ظلت الرسوم أداة للتعبير. واعتبر شيشرون (١٠٦ ق. م- ٣٤ ق. م) أن للرسوم أهمية كبرى في الاتصال، لأنها تساعد على تذكر المجردات وقال سينكا: (٤ق. م- ٦٥م) إن الناس يصدقون الرؤية أكثر من تصديقهم الكلام.

وبدأ أعظم وقع الصورة في نفس الطفل، وما أعمق أثرها على صفحة مخيلته البالغة الصفاء.. صورة تعكس الحياة من حوله، لذلك يعلق علماء التربية الأهمية القصوى على دور الصورة في تكوين وتثقيف الطفل، فلا عجب أن تهتم دور النشر بالجانب الفني في كتاب الطفل، وتستعين له بأكبر الفنانين وألمعهم اسمًا.

إن هناك رأيًا عامًا على اتساع العالم كله، يرى أن تأثير الصور في كتب الأطفال المصورة أمر لا يمكن التقليل من أهميته.

فبالنسبة للطفل الصغير، فإن التعرف على الأشياء والأشخاص في كتاب مصور، تعني السعادة والإحساس بالتفوق في نفس الوقت، كما تقوم أيضًا بإثراء معرفة الطفل، وقدراته على التخيل.

وقبل سنة المدرسة الابتدائية، وفي السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، فإن الكتب المصورة تمكن الطفل من تطوير وتنمية حاسته النقدية، وتعاونه في التغلب على الصراعات الداخلية، كما أنها وسيلة مثالية حفز وإثارة وتنبيه التفكير الخلاق، وحب الكتب.

إن اصطلاحات "جيد" أو "فني" تشير إلى القوة الخلاقة، والصدق، والأصالة، والتي يهدف المصورون المجيدون إلى إبرازها من خلال كتب الأطفال.

وعلى وجه الخصوص، فإنه في الوقت الذي تنمو فيه وسائل الاتصال البصرية، يجب أن ينال الطفل الفرصة ليزداد إحساسه رهافة تجاه أشكال الرسم والصور، وذلك حتى الأثر السيئ للمطبوعات التي، بدلا من أن تهدف إلى التربية، تهدف فقط إلى أغراض تجارية.

الفنان الذي يرسم:

إن الفنان الذي يرسم كتب الأطفال، لابد أن يفكر بالصورة، وهو نفس أسلوب تفكير الأطفال قبل سنة الثامنة، لذلك فإننا نجد كثيرًا من كتب الأطفال التي تفوز بجوائز عالمية، قد رسمها فنانون هم أنفسهم الذين كتبوا نص القصة، وبذلك استطاعوا أن يضعوا الكلمة في خدمة الصورة، وليس العكس.

إن الفنانين الذين ينجحون في رسم كتاب الأطفال، لابد أن يكتسبوا خبرة واسعة وعميقة في عالم الطفل، وأن يعايشوا خيال الأطفال، وأن يتصور الحياة من وجهة نظر الأطفال، وأن يعايشوا خيال الأطفال، وأن يتصورا الحياة من واسعة وعميقة في علام الطفل، وأن يعايشوا خيال الأطفال، وأن يتصورا الحياة من وجهة نظر الأطفال، وبأسلوب الأطفال في التصور والتخيل.

يقول الفنان يوسف فرنسيس في دراسة له حول "الطفل والخيال":

لاحظت خلال الفترة التي قمت بها بكتابة ورسم "مغامرات سندباد" صعوبة ومسئولية الكتابة والرسم للأطفال بشكل أسبوعي واكتشفت خطورة النفوذ إلى خيال الطفل. إن هذا الباب المفتوح، والصلة الوثيقة بين المغامرة المرسومة وخيال الطفل، تستطيع أن تجعل هذا الخيال ينمو، أو ينحرف.. وهذا الكاتب أو الرسام يحاول أن يستهلهم من نفسه الخيط الدقيق الذي يمسكه. إلى أن مرت سنوات، واكتشفت خطورة هذه في القضية".

الرسوم وإثارة الخيال:

"فأمام ٩٠ ألف زائر من أنحاء العالم، في أخطر مؤتمر عالمي للكتاب أقيم في مدينة نيس بفرنسا، وبحضور ٢٠٠٠ ناشر و١٢٥ صحفيًا من أطراف الدنيا، ووسط ٦٠ألف كتاب بين قصة وشعر وأدب ورحلات، أعلنت قضية فكرية خطيرة.. مرض عصري يصيب أطفال العالم: "إن خيال الطفل يمرض" خيال الأطفال قد مرض، ولابد له من علاج سريع. سبب المرض معروف.. تأثير الإعلانات، وحلقات التليفزيون، ومغامرات الكومكس.. فكيف يمكن إنقاذه؟! الطفل هو أملنا في حياة أفضل، وخياله هو المستقبل!"

بهذا المنطق وقف الناشر فرانسوا فيدال، يحدثني بمعرض الكتاب الدولي في نيس..

وبهذا المنطق أيضًا، نال الجائزة الأولى على ٢٠دولة و٢٠٠٠ ناشر و ٦٠.٠٠٠كتاب "بالقط سامبولا" الذي يعتبر أجرأ قفزة خطتها مكتبة الطفل للمستقبل!

إذ لأول مرة سيجد الطفل بين يديه قصة كل موقفه فيه معاد بالرسم بالثلاثة مرات، كل مرة بريشة وسام مختلف (!!) برناد بولهوم.. موريس ونيكول كلانلو..

ونيكول كلانلو..

ويقول فيدال: أطفال اليوم هم رجال المستقبل.. وتشكيل خيالهم، وتربية أذواقهم، معناه التأثير على الجيل القادم كله.. وعندما وجدت نفسي مكان المسئولية، أردت أن أرجع إلى قرائي نفسي، إلى الأطفال، أسألهم ما يريدونه.. لم أكن أتصور أن أطفال اليوم في هذا الذكاء. لقد ضافوا من سذاجة الكتب التي نطلق عليه كتب الأطفال. اجتمعت بمجموعات متعددة منهم أكثر من مرة، وسجلت آراءهم، وخرجت في النهاية بنتيجة تكون مشتركة.. فمعظم الأطفال قالوا لي: "نحن لا نريد أن تحددوا لنا خيالنا!"" وكان الطلب غريبا، معناه العملي أن أطبع كتبًا صفحاتها بيضاء، وأترك لخيال الطفل أن يرسم ما يشاء!.. ولكن أخيرًا سألت نفسي: لماذا لا أقدم للطفل قصة مرسومة بأكثر من أسلوب، ومن خلال الرسوم المقلدة يستطيع هو أن يستخلص بخياله من كل ما يراه، الصورة القريبة من نسه؟! وبرغم أن الفكرة قوبلت بالسخرية، فإنني دفعت بها إلى حيز التنفيذ، وها هي ذي النتيجة أمامك..! بدأ العالم كله يقلدها، وأنا سعيد بذلك.. أن أستطيع تغيير ذوق الأطفال إلى الأحسن، وأطلق خيالهم ليختار ما يشاء.

تابعت مغامرات "القط" وهو على القمر بريشة الرسامين الثلاثة، وسألت فيدل: لقد وجدت لغة جديدة للشكل.. هل وجدت أيضًا لغة جديدة للمضمون..؟

أجاب: "بالنسبة للطفل، فالشكل هو الأساس. إنه يدخل إلى الموضوع من نافذة الرسم".

إن الرسم يعين خيال الطفل على الانطلاق، ويشكل صور ذهنية عن المواقف والأفكار، لذلك فإن الرسوم التي يرسمها رسامون مبتدئون، أو غير متخصصين في الرسم للأطفال، أو مجرد رسامين مهرة يفتقدون إلى الروح والذوق الفني، كل هؤلاء يمكن أن يؤثروا تأثيرًا في ذهن الطفل وخياله، لأنهم يحبسون خيال الطفل في آفاق محدودة.

ويقول الفنان حسين بيكار في مقال له حول "كتب الأطفال وأغلفتها":

كما كان كتاب الطفل قبل المحاولات الرائدة للأستاذ كامل كيلاني ضحية لترفع الكتاب والأدباء عن اقتحام عالم الطفل البريء، فلم يقبل أحد منهم التنازل للهبوط إلى مستواه، يناجيه

مناجاة الأب لابنه، ويكتب له، فتأخر تبعًا لذلك ازدهار كتاب الطفل وأدبه الطفل في المكتبة العربية، كذلك كان الحال بالنسبة للفنانين التشكيليين، الذين كانوا يعتقدون أن ملامسة الريشة لغير اللوحة امتهان لقداسة الفن، وإهدار لكرامته، وحط لمنزلته، فما بالك بإنزالها إلى مستوى الأطفال!!

وربما كان للعامل الاقتصادي دور في تخلف الكتاب العربي عن ملاحقة زميله في الخارج.

فالناشر يخشى إذا ارتفع سعر الكتاب نتيجة لما تتكلفه العناية بمظهره الفني، أن لا يسد نفقاته ولا يعود عليه بالربح، في حين أنه لو أضفى عليه لمسة فن أو لمحة من ذوق لتغير الحال، ولعاد بالنفع على النشء والناشر، وعلى المجتمع على السوء.

موضوع الرسوم:

ولاشك أن الموضوع الذي يكتبه الكاتب هو الذي يحدد موضوع رسوم كتابه.

ذلك أن أهم هدف من رسوم كتب الأطفال، أن تقرب وتوضح مفهوم الكتاب، وتعكس فكرة ومضمونة.

لذلك فإن الواجب الأول لمصور كتب الأطفال، أن يعرف جيدًا نص الكتاب. ولا يمكن لمصور ممتاز أن يخطئ في تصوير الكتاب، فيرسم شعرًا أشقر بدلا من الأسود، أو قمصانًا بدلا من المعاطف.

وهذه قاعدة تنطبق بوضوح على المرحلة التي يوجد فيها نص مقروء بجوار الرسوم التي يضعها الرسام.

لكن في المرحلة قبل سنة السادسة، فإن الصورة تكون لها الصدارة، وهو ما يحتاج إلى بعض التفصيل.

فمن بداية الشهر الخامس عشر من عمر الأطفال، يحب الأطفال تأمل الصور الزاهية الألوان، للأشياء البسيطة المألوفة في محيطهم، مثل المقعد والملعقة والقطة والكلب.

ومن بداية الشهر الثامن عشر، يحب الطفل مشاهدة صور الأشياء المألوفة له، وأيضًا صور الأشياء غير المألوفة له، مثل الحيوانات التي لن يراها إلا سن أكبر في حديقة الحيوانات، مثل الزرافة أو الحمار الوحشي.

ويفضل في هذه المرحلة أن تكون الصور للأشياء وهي في حالة ساكنة، وأبعد ما تكون عن الحركة، مثل كرة ساكنة، أو بطة لا تتحرك. فلا تتضمن الكتب مثلا، صورة قط يلعب بالكرة، ولا صورة بطة تأكل حبوبًا، ذلك أن القدرة على فهم الصور لا تزال في أولى مراحلها.

ويلجأ بعض الفنانين، مثل الفنان الهولندي "ديك برونا"– بالإضافة إلى حرصه على أن تظل شخوصه ساكنة– إلى جعل شخصوه تنظر إلى المشاهد دائما، متجنبًا رسم أي وجه في وضع جانبي.

إن الذين يخرجون الصحف يدركون أن غلاف المجلة الذي يحتوي وجهًا كبيرًا ينظر مباشرة إلى المارة، يبيع أكثر.

وفي معظم البلاد الآن، ينظر من يقرءون نشرة الأخبار في التليفزيون مباشرة إلى عيون مباشرة إلى عيون المشاهدين، وهم يفعلون ذلك لأنهم يدركون ما للصلة المباشرة بالعين من أثر في جذب الانتباه.

أما بعد تمام عامين من عمر الطفل إلى ثلاث سنوات، فإن الطفل يحب أن يرى شيئًا يتحدث في كل صورة. مثلا: ولد يلعب بالكرة، أو بنت تعطي البطلة حبوبًا، وبعد هذه السن، فإن الحركة والحيوية تحببان الصور إلى الأطفال.

ويحب الطفل التكرار في كل صورة. أي يحب أن يجد شيئًا يعرفه يتكرر في كل الصور، أكثر مما يحب الصور التي يربطها موضوع واحد، ولكن تخلو من التكرار.

وفي هذه السن، وحتى سن الخامسة، يفضل الأطفال صور الناس والحيوانات، أكثر مما يحبون الموضوعات غير الحية.

كما يحب الأطفال رؤية الرسوم التي بها أطفال مثلهم.

وبعد العام الثالث إلى ثلاثة أعوام ونصف، يمكن للرسوم الواضحة أن تسرد قصة بسيطة جدا. إن الطفل يبدأ في اكتساب القدرة على تفسير الصور، كما يمكن أن يعيد سرد القصص البسيطة من واقع رسومها.

وبعد الرابعة وإلى الخامسة، يحب الطفل الصور الهزلية والخيالية. كما يفضل الصور المتقنة الرسم، مع بساطة الخطوط والألوان الزاهية.

وبعد الخامسة، تكون الرسوم مرتبطة بموضوع الكتاب، معبرة عنه، وذلك طبقًا لاحتياجات الأطفال في مختلف الأعمار.

البساطة والوضوح:

إن قراءة الصور ليست عملية سهلة في كل الأحوال، وكثيرًا من الصور يقف الكبار أمامها حيارى لفترة قصيرة، لأن الصورة في حد ذاتها ليست الشيء ذاته بل هي تمثيل للشيء.

لذا واجب أن تكون الصورة المقدمة للطفل بسيطة، واضحة، خالية من التعقيد والتفاصيل المربكة، وذلك حتى تتناسب مع خبرات الطفل ومعلوماته وقدراته.

إن فهم الرسوم يرتبط بسن وخبرة الطفل نفسه، شأنه في ذلك شأن اللغة اللفظية، بل يسمى البعض الرسوم "لغة غير لفظية". إن الرسوم، باعتبارها عناصر بصرية، تعتمد على نمو حاسة البصر، كما تعتمد على نمو قدرات الطفل العقلية عمومًا.

لذلك فإنه كلما صغر سنة الطفل، وجب الإقلال إلى أقصى حد ممكن من تفاصيل الرسوم المقدمة إليه، مع الاهتمام بوضوحها الشديد، ذلك أن كثرة التفاصيل، أو الإعتام أو الغموض في بعض جوانب الصورة، يربك الطفل، ويشتت اهتمامه، ويؤدي إلى صعوبة الفهم، ثم ينتهي به إلى الانصراف عن الكتاب.

فبالنسبة للسن الصغيرة جدا، يجب أن نقدم الرسوم في وحدات مكبرة، شبه منفصلة عن غيرها، مع إبرازها بأقل تفاصيل ممكنة، وهو ما يمكن أن نسميه "اللفظة المقربة".

إن بساطة المفهوم والخط واللون، أشياء ضرورية لهذه المرحلة، ولا يجب أن تكون هناك مبالغات أو صراع عاطفي، مع تجنب أي تعقيد، ذلك حتى يمكن فهم مضمون الصور بلمحة واحدة. إن البساطة التامة للرسوم هي المميز الهام لرسوم كتب هذه المرحلة. وفي الظاهر قد يبدو أنه لا تربطها بالواقع إلا أقل العلاقات، ولكن جاذبيتها تكمن في أن هذه العلاقات القليلة لا تزال تحتوى على الخصائص الأساسية للواقع. إنها ربما لا تكون الواقع، ولكنها تبسيط وتمثيل للواقع.

إنها تتميز بالوضوح والصراحة والمباشرة الطفلية. إن فنان كتب صغار الأطفال يبحث عن الوضوح قبل كل شيء.

إن أحد المعايير لقياس درجة الوضوح والبساطة في الصورة، هو عدد الثواني المطلوبة لكي يحيط بكل شيء في الصورة. فكلما قل عدد الثواني اللازمة ليحبط الطفل بما تدل عليه الصورة، كانت الصورة أنجح في بساطتها.

وبعد أربع أو خمس سنوات، يمكن استخدام "اللقطة المتوسطة" حيث يمكن إظهار عدد قليل من الأشياء وأجزاء الأشياء في الصورة، على أن تكون واضحة وتفاصيلها معقولة. إن

الوضوح والبساطة والمباشرة من الأشياء المرغوب فيها في هذه المرحلة. ويظل الأطفال في هذه المرحلة أيضا يفضلون الصور الكبيرة، التي تشغل الصفحة كلها.

وبعد سن الثامنة أو التاسعة يمكن استخدام "اللقطات العامة"، التي تشمل الكثير من الأشياء ومن التفاصيل. ولكني حتى في هذه السن، لا يحب الإسراف في استخدام هذه اللقطات العامة، بل يجب أن يتضمن الكتاب عددًا معقولا منها، مع الاهتمام باللقطات المتوسطة والمقربة.

إننا في كتب الأطفال، يجب أن نعتمد أساسًا –كلما كانت موجهة إلى صغار السن– على الرسوم الكبيرة التي تملأ الصفحة، وكلما تقدم السن الذي نقدم له الكتاب، أمكن استخدام رسوم تتكون من عدد قليل من الأشياء المكبرة، مع خلفيات في غاية البساطة. وفي السن الأكبر، يمكن أن يشمل تكوين الرسم مختلف الأشياء. وهذه قواعد تفرضها ضرورة مساعدة الطفل على التركيز، بحث لا نشغله بالتفاصيل، ولكي نجنبه الإثارة وتشتت الانتباه.

لكل هذا فإنه بالنسبة للأطفال أقل من ٨سنوات، يجب عدم استخدام الصور الفوتوغرافية، وذلك لأنها، من ناحية، حافلة بالتفاصيل، ولأنها، من ناحية أخرى، تحتوي على جميع الألوان ودرجاتها، وهو ما يربك الطفل، ويجعله غير قادر على فهم الصورة.

الأسلوب:

ومن أهم المبادئ التي يلتزمها الفنان الذي يرسم كتب الأطفال، أن يهدف إلى إبراز فكرة الكتاب. وأكثر ما يساعده على ذلك أن يستخدم في رسومه أساليب واقعية، مع تجنب الأساليب المجردة.

ومعنى الأساليب الواقعية أنها تعبر عن العالم المحيط بالطفل بطريقة مفهومة ليؤدي الكتاب وظيفته حتى يفهمه الطفل.

وليس معنى هذا أن الفوتوغرافية مطلوبة، بالعكس: فإنها غير مطلوبة والمطلوب هو الخيال ولابتكار والأشكال الجديدة. فالأسلوب الذي يناسب الكتب التاريخية والدينية والعلمية والرياضية غير الأسلوب الذي يصلح للأساطير الخيالية والشعبية وهما يغايران الأسلوب الذي يناسب الحكايات الفكاهية.

ولكن في كل هذا، يظل معيار نجاح رسوم الكتاب، وهو وضوحها، أي سرعة فهم الطفل لما تدل عليه، فإن أنجح الكتب مع الأطفال هي ما كانت رسومها ذات أشكال واقعية أ قريبة من الواقع.

إن حب التجريب قد يستغرق الفنان أحيانًا، فيحاول استخدام أساليبه الفنية البعيدة عن البساطة والوضوح، ولكن الكتب التي يرسمها مثل هذا الفنان، قد تكون جيدة من ناحية سمعة الفنان التشكيلية وقد تلاقى نجاحًا بين الأدباء الذين يتذوقون أساليب الفن المتنوعة، لكنها ربما لا تكون ملائمة لحاجات الأطفال.

ذلك أنه لابد من دراسة حاجات الأطفال حتى تلائم أساليب رسم كتبهم هذه الحاجات، وأهم هذه الحاجات هو الحاجة إلى الوضوح والبساطة والفهم بغير أن نضحي بالقيم الجمالية.

إن كتب الأطفال تطبع للأطفال، ولا تطبع للفنانين ولا لأصدقاء الفنانين، إن كتب الأطفال لا تقدم لجمهور المعارض، بل للآلاف من الأطفال العاديين.

وليس معنى هذا أننا ضد الأساليب الجديدة المبتكرة، ولكن في حدود أن تعكس الموضوع نفسه.

إن أفراد المجتمع الذين يشترون كتاب الطفل أو يرفضونه يفرضون كلمتهم، سواء أراد الفنان هذا أو لم يرده، أو لم يحس بذلك.

إن الرسوم في كتب الأطفال، يجب قبل كل شيء، أن تساعد على أن تجعل القراءة أكثر سهولة.

الألوان:

وقد لوحظ بالتجربة أن أكثر الألوان استحواذاً على اهتمام الأطفال صغار السن وجذبًا لأبصارهم، هي الأوان الأساسية الثلاث: الأصفر والأزرق والأحمر، بشرط أن تكون زاهية. لذلك يجب أن يكون لهذه الألوان الأساسية الثلاثة النصيب الأكبر في الرسوم المقدمة للأطفال صغار السن، دون أن نمزج بينها، وبغير أن تستخدم أية ظلال أو تدرجات من اللون الواحد، وذلك حتى لا يرتبك الطفل الصغير أو ينفر من الصورة.

وهذه قاعدة يجب التزامها في كل ما نقدمه للأطفال الصغار، سواء كان كتابًا أو مجلة أو مسرحة أو فيلمًا، وهو نلاحظه بوضوح، وبتركيز شديد، في أفلام الكارتون الأجنبية الموجهة إلى الأطفال.

ويحسن أن تكون مساحات الألوان مفصولة عن بعضها، كأن تحيط بكل مساحة خطو سوداء تحدد حافات تلك المساحة.

وأن يستخدم في تلوين كل مساحة لونًا واحدًا صافيًا غير مختلط بأية ألوان أخرى.

إن العديد من أطفال الرابعة بل حتى الخامسة لا يستطيعون الربط بين اللون واسمه الصحيح، لذلك فإن الكتب التي ترسم بهذه الألوان الواضحة، بالإضافة إلى أنها تلبي حاجات الأطفال، تلبي أيضًا حاجات الآباء والمدرسين والمشرفين، وذلك لتعليم أطفالهم كيف يستخدمون أسماء الألوان استخدامًا صحيحًا.

ولكن بعد سن الرابعة أو الخامسة يمكن أن نضيف إلى الألوان الأساسية الثلاث ألوانًا أخري، مثل الأخضر والبرتقالي. وبعد سن السابعة يمكن أن نستخدم أيضًا عدة درجات من اللون الواحد، ولكن بحذر.

وبعد تسع سنوات أو عشر، يمكن استخدام كل الألوان درجاتهم المختلفة، لذلك فإنه في هذه المرحلة، يمكن أيضًا استخدام الصور الفوتوغرافية الملونة.

ويلاحظ أنه إذا كان صغار الأطفال يفضلون الألوان الزاهية، فإنهم كلما تقدموا في العمر، يميلون إلى الأوان الباهتة.

كذلك فإنه من أهم المبادئ التي يلتزمها الفنان الذي يرسم كتب الأطفال أن رسومه من ناحية التلوين والتكوين يجب أن تنمي في الطفل إحساسه الفني وتذوقه الجمال.

حدود استخدام الألوان:

لكن يلاحظ أنه، وإن كانت الألوان ضرورية، ولا يمكن الاستغناء عنها في الكتب الموجهة إلى الأطفال قبل السادسة، فإنه في المرحلة من السادسة إلى التاسعة تقل أهمية اللون. ويمكن الاكتفاء في هذه المرحلة، برسوم ذات لونين أو بلون واحد، وإن ظل أطفال هذه السن ستمتعون بالأوان. إن هناك كثيرًا من الفنانين قد حققوا نتائج مدهشة باستخدام لونين فقط، وهو أمر أقل تكلفة بكثير من استخدام أربعة ألوان.

إن وجود الصور على كل صفحة من صفحات الكتب الموجهة لهذه السن ضروري للمحافظة على حماس الأطفال لمواصلة القراءة، ولكنها يمكن أن تكون صورًا بالأسود والأبيض فقط أو بلونين.

أما في المرحلة بعد التاسعة أو العاشرة، فيمكن الاقتصار على الرسوم التخطيطة البسيطة، فالأطفال في هذه المرحلة، لا يكونون في حاجة إلى كثير من الصور الملونة أو غير الملونة مثلما كانوا في السن الصغيرة. إنهم طبعًا سيرحبون بالرسوم الملونة ويتذوقونها، لكنها لم تعد أساسية في حفزهم على القراءة.

روح المرح:

والرسوم، مع وضوحها وبساطتها وقربها من الواقع، وخلوها من التفاصيل، يجب أن يشيع فيها روح المرح. فالأطفال لا يتحملون من الحياة جانبها المؤلم أو المعتم بل يبحثون دائمًا عن الجانب المضيء والمرح، وهو أمر لابد من مراعاته حتى في رسم الموضوعات المحزنة أو المؤلمة.

ولكن يجب التنبه إلى أن نجاح كتب الأطفال لا يكون بقدر ما تثير من ضحك بل يقدر ما تترك في نفس الطفل من أثر إيجابي.

ولكن ضرورة تقديم الرسوم بأسلوب فيه قدر كاف من المرح أو الطرافة هو شرط أساسي لتقبل الأطفال ما يقدم لهم من رسوم، مع مراعاة أن تجيء الفكاهة نابعة من نفس الموضوع، وألا تجيء مقحمة عليه.

إن الأطفال يقفون موقفًا مرحًا من الحياة. إنهم يواجهون الحياة بسعادة وإيجابية، وعلى رسوم كتب الأطفال أن تحرض على مشاركة الأطفال هذا الإحساس، مع الحرص في نفس الوقت على ألا ينقلب عنصر المرح إلى جعل العمل الفني نوعًا من التهريج بقصد الإضحاك، وإلا انصرف الطفل عن تأمل العمل الفني، إلى البحث عن الرسوم المثيرة للضحك، وبذلك نفقد طريقنا السليم مع الأطفال.

العلاقة بين مساحات الرسوم ومساحات النص المكتوب:

ومن الضروري وضع الرسوم في أماكنها المناسبة على الصفحات بحيث تشكل الرسوم مع المادة المكتوبة وحدة فنية متكاملة، من خلال الترابط الوثيق بينهما.

ويهتم الناشرون حاليًا بأن تكون كل صفحة من صفحات الكتب الموجهة للأطفال قبل سنة التاسعة محتويه على أحد الرسوم، وذلك للمحافظة على حماس الأطفال للاستمرار في القراءة. ذلك أنه من الخطأ تركيز الصور في مكان واحد وترك فصول او صفحات طويلة من

الكتاب بغي صور. كما يهتمون بعدم فصل مساحة الصور عن مساحة الكلمات، بحيث يتكون منهما وحدة فنية وثيقة.

وبالنسبة لكتب المرحلة الابتدائية لا يجب أن تطغى الرسوم على المادة المكتوبة كما هو الحال في كتب المسلسلات الهزلية "الكومكس" والتي تحضر خيال الأطفال في آفاق محدودة، وتعجلهم باحثين عن الإثارة بدلا من الاستمتاع بالخيال، كما ننفرهم من القراءة الجادة، وتجعلهم باحثين عن القراءة السهلة. ذلك أن الرسوم والمسلسلات الهزلية لا تستلزم في العادة سوى قراءة كلمات قليلة قد تكون غير ذات معنى، في حين تقدم الرسوم كل الوقائع والأحداث وهو ما يمكن أن يؤدي إلى إضعاف قدرة الأطفال القرائية.

نسبة مساحة الرسوم إلى المساحة الكلية للصفحة:

وفي مرحلة ما قبل المدرسة، لا تحتوي الكتب إلا على الرسوم، ويضاف إليها أحيانًا كلمات قليلة تشرح الصورة أو القصة لتعاون الآباء على الحديث عنها أو سردها للأطفال.

وفي كتب تعلم القراءة، يخصص للكتابة ما لا يزيد عن ٢٠% من الصفحة والباقي للرسوم، على أن يكون عدد الكلمات قليلا جدًا وحجمها كبيرًا جدًا.

ثم تأخذ المساحة المخصصة للكتابة في الزيادة، إلى أن تتوازي مع المساحة المخصصة للرسوم في السن من الثامنة إلى التاسعة، بحيث يتعاونان في إعطاء المعنى الكلي للموضوع.

ثم تزداد المساحة المخصصة للنص، في حين تتقلص المساحة المخصصة المرسوم، إلى أن تصبح الرسوم، في الكتب الأدبية والقصصية، مقصورة على شغل مساحة لا تزيد على ١٥ أو ١٠% من مساحة الصفحات في الكتب الموجهة إلى سن الخامسة عشرة، وذلك لتتناسب مع مستوى التحصيل اللغوي للطفل، ولإشباع فضوله إلى المعرفة والعلم، ولأنه أصبح يتطلع إلى أن تكون كتبه غير مصورة مثل كتب الكبار. أما الكتب العلمية، أو كتب المعلومات، فيمكن أن تزيد المساحة المخصصة للرسوم على هذه النسب.

هل يرسم الأطفال كتبهم؟

هناك رأى يقول بأن نترك للأطفال رسم صور كتبهم.

وقد أجريت بعض التجارب النادرة في هذا المجال، لكنها لم تستمر.

obeikandl.com

والواقع أن هذا الرأي يتجاهل تفرقة أساسية ومهمة في مختلف مجالات ثقافة الأطفال. فهناك دائمًا ما يقوم به الأطفال، كنوع من اللعب أو التعبير أو التنفيس، سواء كان رسمًا أو تمثيلا أو أغنية أو رقصة، وهناك في الجانب الآخر، ما يقدمه الفنانون الراشدون للأطفال في كتبهم وأفلامهم وأغنياتهم وموسيقاهم وبرامجهم في الإذاعة والتليفزيون.

وما يقوم به الأطفال ضروري لنموهم في مختلف النواحي، أما ما يقدمه الكبار للأطفال فهو ضروري ليكون وسيلة لصقل تذوق الصغار للفنون، ولتعليمهم وتربيتهم.

إن ما يقدمه الأطفال هو أمر خاص بكل طفل، وليس مقصودًا به أن يكون وسيلة تواصل مع الأطفال الآخرين.

أما ما يقدمه الكبار للأطفال، فهو فن مقصود به أن يصل إلى أكبر عدد من الأطفال. يقول فيكتور لونيفلد في كتابه (طفلك وفنه): "الطفل يعبر في فنه عن عالمه هو بوسائله الخاصة، فمارى تختلف عن سميحة، وكلاهما يختلف عن فريد. وإذا لم يطلب منهم الكبار أن ينتجوا رسمًا جميلا، فلن يخطر ذلك ببالهم".

ويقول الدكتور حمدي خميس في كتابه (طرق تدريس الفنون): "إن الرسم بالنسبة للطفل لغة، أي نوع من التعبير، أكثر من كونه وسيلة لخلق شيء جميل. وإن الطفل في السنوات الأولى يرسم وجهة نظره في الأشياء، ولا يرسم ما يراه".

كما يقول الدكتور محمود البسيوني في كتابه (سيكلوجية رسوم الأطفال): "الإيجاز الشكلي ظاهرة ملاحظة في نمو الفرد، فهو يمر في أثناء نموه بخبرات متعددة، ولكي يستفيد من هذه الخبرات بسهولة واقتصاد عندما يواجه مواقف جديدة مشابهة، نجده يلخص هذه الخبرات في أشكال موجزة أشبه بالرموز، وهذه الملخصات الرمزية أطلق عليها علماء النفس الذين درسوا رسوم الأطفال الموجزات الشكلية أو ظاهرة الإيجاز الشكلي".

ويقول: "إن أنواع الموجزات الشكلية التي يستخدمها الأطفال في تعبيراتهم لها صبغة فردية، أي أننا إذا طلبنا على سبيل المثال، من فصل مكون من أربعين تلميذا، رسم أي موضوع، كالتعبير عن حيوان مثلا، فإننا حتما سنحصل على أربعين صورة لهذا الحيوان، ولكل صورة فرديتها، هذا إذا كان النمو يسير بخطى طبيعة".

"والواقع أن أنواع الموجزات الشكلية تشبه بصمات الأصابع، التي لها فرديتها في حالة كل إنسان. فالإيجاز الشكلي الذي يستخدمه فرد معين يميز هذا الفرد ويعبر عن شخصيته".

ويقول هربرت ريد في كتابه (التربية عن طريق الفن): "الطفل(الفنان) يستخدم في الوقت الواحد لرسم نفس الموضوع الواحد أسلوبين مختلفين: أحدهما للإرضاء الشخصي لمزاجه. والآخر لإرضاء غيره من الناس".

كل هذا ما يؤكد الصيغة الفردية الخاصة لتعبير كل طفل عن نفسه بالرسوم، وهو ما يجعل هذه الرسوم غير صالحة لأن توضع في الكتب التي نقدمها إلى مختلف الأطفال الآخرين، لأنهم ربما لا يفهمونها.

إن القواعد التربوية تقرر أنه من الخطأ أن نتحدث مع الطفل بنفس طريقته في نطق الكلمات، بل لابد أن ننطق له الكلمات نطقًا سليمًا، حتى يتعلم هذا النطق السليم، فنحن لا ننتهزه ولا نسخر منه لنطقه الذي يناسب مرحلته العمرية، لكننا نقدم لها النطق السليم، لنساعده على النمو في الطريق السليم.

ولابد أن نفعل الشيء في مجال الرسم، فلا نقدم لطفل رسوم الأطفال الآخرين، التي هي رموز تعبر عن فرديتهم الخاصة في طور محدد من أطوار تطور رسومهم، بل لابد أن نقدم في كتب الأطفال رسومًا يمكن أن يفهمها كل الأطفال، وأن تساعد على نمو تذوقهم للفن.

ولكن ليس معنى هذا ألا نستفيد من رسوم الأطفال ونحن نرسم لهم. فإن من أهم أدوات من يرسم للأطفال أن تكون لديه مجموعات كبيرة من رسوم الأطفال في مختلف أعمارهم، ليدرك من خلالها كيف يرى الأطفال الألوان والأشكال والعالم.

إن الأطفال يؤكدون في رسومهم على الأجزاء الهامة، ويتجهون إلى تبسيط الواقع مع تضخيم ما يهمهم منه، ويستخدمون الألوان للمتعة وليس بقصد مشابهة الطبعة.. وغير هذا من خصائص رسوم الأطفال التي يمكن أن يستفيد بها من يرسم لهم.

لكن الفنان لا يعد فنانًا إلا إذا استطاع أن يصل بفنه إلى أكبر عدد من أفراد الجمهور الذي يتوجه إليه، وهو أمر لا يقصده الأطفال ولا يقدرون عليه.

إن كتب الأطفال، إذا كانت جيدة الإخراج ممتازة التصوير، متفقة مع حاجات الأطفال، قد تكلف كثيرًا، لكنها أيضًا ستجد إقبالا كبيرًا، لما تتيحه وللطفل من متعة وتعليم، وتنمية لتذوق الفنون، وحفز على حب الكتب، وتشجيع على الاستمرار في القراءة.

إن كتابًا مصورًا جيد التصوير، جدير بكل الجهود التي تبذل في سبيله.

المكتبة وتنمية عادة القراءة

لاشك أن وجود مكتبة على مقربة من الطفل، هو من أهم وسائل التي تعاون على تنمية حب القراءة لديه.

إن عرض الكتب أمام الأطفال باستمرار، خاصة في مكتبة الفصل، يخلق بينهم وبينها ألفة مستمرة ومودة متزايدة، مما يشجعهم على إنشاء مكتبات خاصة لهم في منازلهم على غرار هذه المكتبة.

كما أن وجود المكتبات قريبًا من الطفل، سيجعل عملية حصوله على الكتاب، سواء بالاستعارة الداخلية أو الخارجية أمرًا سهلاً، سواء من ناحية التكلفة أو المشقة.

فكثير من الأطفال لا تسمح لهم إمكاناتهم المادية أن يقتنوا –لا هم ولا أسرهم– مجموعات من الكتب المناسبة لأعمارهم، تتناول مختلف نواحي اهتمامات الطفل.

كذلك فإن كثيرًا من الأطفال يعيشون في مدن صغيرة أو قرى لا تصل إليها أية كتب، لا ف المكتبات ولا مع باعة الصحف الذين لا يوجدون إلا في المدن الكبيرة نسبيًا. فهم محرومون من إمكانية الاختيار والاقتناء، حتى لو أرادوا أو استطاعوا.

لذلك فإن المكتبات أصبحت من أهم وسائل التثقيف، وهي في نفس الوقت من أسهل هذه الوسائل وجودًا. والأمر يحتم علينا الاهتمام بنشر مكتبات الأطفال على أوسع نطاق، في كل حي وفي كل قرية، بل في كل شارع إذا أمكن.

لكن مكتبات المدارس ستظل تشكل أهم نوعيات المكتبات بالنسبة لأطفالنا.

obeikandl.com

القراءة عامل هام داخل المدرسة وخارجها:

ذلك أننا إذا فحصنا قائمة المواد الدراسية في أي مدرسة من المدارس، سنجد أن القراءة شيء لا غني عنه في كل فرقة، ابتداء من الصف الأول حتى الجامعة. وهي ضرورية كذلك في كل مادة دراسية، ابتداء من مادة الحساب والرياضة، حتى علم الكيمياء أو الحيوان.

كذلك تشكل القراءة بالنسبة مهارة لا غنى عنها في البيت أو الوظيفة، في دنيا التجارة أو عالم المهن أو الصناعات.

وينبغي ألا تخلط بين القراءة كفن، والقراءة كعملية آلية نتعرف فيها على الحروف والكلمات. فالكتاب مثله مثل أشياء أخرى كثيرًة، ليس إلا مجرد وسيلة إلى غاية نسعى إليها. فربما لا تكون القراءة أكثر من عملية تسلية وترويح عن النفس، أو قد تكون مصدرًا للمعلومات عن طريق القراءة السريعة، مثل مطالعة الصحف، أو قد تكون مصدرًا للتعليم والتعلم، والتعبير عما نتعلمه، وعندما نتحدث عن الكتب والمكتبات، يجب أن ينصرف اهتمامنًا أساسًا إلى هذا النوع الأخير من القراءة المنتجة.

إن القراءة كفن، تقتضي ممن يمارسونها قدرة زائدة على أن يقرءوا بتمييز، وبعقل مدرك باحث. قراءة تجعل العقل يستجيب استجابة دقيقة واعية واضحة لتأثير الكلام المطبوع، والسبيل إلى خلق مجتمع من القراء من هذا النوع، لابد أن يبدأ من الأطفال.

إن كل طفل ينبغي أن تتاح له فرصة الاحتكاك بالكتب، وأن يقرأ لكي يتعرف على شيء من الخبرات التي يعبر عنها الأدب، ولكي يتصل بحياة الآخرين ويعيشها بخياله، ولكي يكتسب مجموعة من القيم تجعله يقف في ثبات في العالم الأوسع الذي ينبغي أن يعيش فيه، ولكي يستمتع، بالإضافة إلى كل ما سبق، بما هو مكتوب.

واقع الأطفال اليوم من الكتب:

ومع ذلك فهناك أطفال كثيرون يتركون المدرسة في الوقت الحاضر، ويحتمل أنهم لن يفتحوا كتابًا، لا من أجل المتعة، ولا لأي هدف آخر. فعملهم ربما لا يستلزم منهم أن يفعلوا ذلك. وعندما ينتهون من عملهم، يجدون أمامهم ألوانًا من التسلية ربما لا يشعرون معها بحاجة إلى الاستمتاع بالقراءة، ومن هؤلاء من نشأ في بيوت خالية من الكتب، ولعلهم لم يروا آباءهم وأمهاتهم يقرءون قط، أو لم يقرءوا غير الصحف، ومن أجل هذا نراهم لا يقرءون كتابًا للمتعة، ولا يمارسون هواية تقتضيهم الرجوع إلى كتابة.

وبوجه عام، فقد أصبحت قدرة أطفالنا وشبابنا على التعبير عن الذات غير كافية وغير دقيقة، بل فقد معظمهم القدرة على هذا التعبير.

مسئولة أجهزة الإعلام:

وهناك تفسير أساسي لهذا التدهور في مستوى التعبير، هو عدم ميل الشباب إلى القراءة، إن الأطفال والشباب لا يقبلون على القراءة، أو هم في الواقع لا يقرءون، وذلك أمر متوقع، ماداموا يقعون، يومًا بعد يوم تحت رحمة أجهزة الراديو والتليفزيون والمسجلات والأفلام السينمائية والمطبوعات الهزلية.

إن معظم البضاعة التي تقدمها وسائل الإعلام الجماهيرية هذه تدور حول الحركة: المغامرة– الإثارة– الرعب– الخطر– القوة– الجنس! وكل هذه لا تتطلب من المتلقي أي جهد، ولا يحتاج فهمها إلى قدرة خاصة، ولا تتبعها امتحانات، كما أن الحصول عليها سهل وميسور.

وإذا تحدثنا بشيء من التخصيص، فكثير من المجلات الهزلية مكتوبة بلغة ركيكة، وقلما تحتوي على معلومات ذات قيمة. وفي السينما يشاهد الأطفال كثيرًا من الأفلام المثيرة التافهة، ذات الموضوعات المسوخة، التي لا تتفق ومرحلة النمو التي يمرون بها. كذلك يمكن توجيه نقد مشابه لكثير من برامج الإذاعة والتلفيزيون. وهذه قضايا يثور حولها جدل كثير، فهناك رأي له وزنه لا يعتبر وسائل الإعلام مسئولة وحدها عن هذا التدهور في مستوى التعبير، وفي عدم الإقبال على القراءة.

مسئولية الواقع الاجتماعي لكثير من الأطفال:

ذلك أنه، في الوقت الحالي، بأني معظم التلاميذ للمدارس من قطاعات تعتبر من أكثر القطاعات الاجتماعية تعرضًا للحرمان، حيث لا تتجاوز معظم ثقافتهم "الحواديت" و "الحكايات الشعبية" ولم تألف هذه القطاعات الفقيرة الكلمة المكتوبة أيا كان نوعها. إنها قطاعات ترتع فيه الأمية منذ قرون مضت، خاصة في البيئة الزراعية.

هذا في حين أن عادة القراءة، وتذوق ما يقرأ، يكتسبها أطفال الأسر الذين يحيطهم آباؤهم منذ الصغار بالكتب والمطبوعات، وينمون فيهم، منذ الطفولة المبكرة، كثيرًا من الاتجاهات نحو الكتب.

إن القول بأن معظم الأطفال الذين يفدون من البيئات الفقيرة لا يحبون القراءة، لا ينبغي النظر إليه على أنه تقليل من شأنهم، لكنه اعتراف بسيط بالحقائق. فإذا كان هؤلاء الأطفال لا يقرءون، وإذا كانوا لا يحبون القراءة ولا يقبلون عليها، فذلك لأن بيئتهم التي شبوا فيها لم تشجعهم على القراءة لوم تزودهم بما يقرءون.

مسئولية المدرسة:

وبغض النظر عن قصور الخلفية الاجتماعية، فإن المدرسة بوجه عام، لا تقدم العون الكافي لمعظم تلاميذها لكي يحبوا الكتب، ويقبلون على القراءة. إن من أهم واجبات المدرسة والمدرسين إثارة الرغبة عند الأطفال في القراءة. وهذا يتضمن إثارة الميل عند التلاميذ للقراءة، عن طريق أعداهم نفسيًا للترحيب بالكتب والمطالعة، ولكي يشعروا برغبة إيجابية نحوهما.

إن معظم الأطفال يقرءون بمجرد أن يستطيعوا القراءة. وما على المعلم إلا أن يهيئ لهم الكتب الملائمة، ويجعلها في متناولهم، وكثير من الأطفال الذين يمكن أن يغفوا من تلقاء أنفسهم بالقراءة، سوف يفعلون ذلك لو تلقوا العون في الوقت المناسب. وكثير من الأطفال الذين لا يقرءون من تلقاء أنفسهم، إنما يكون ذلك بسبب إن المدرس أو المدرسة لم تعطهم الدوافع اللازمة لذلك.

إننا إذا كنا ننشئ المدارس الابتدائية في كل مكان، فإن المدارس لن تؤدي مهمتها على الوجه الأكمل، ما لم يتوفر لتلاميذها خدمة مكتبية، تعينهم على النهوض برسالة المدرسة، التي لم تعد مقصورة على التعليم، إنما تتعداه إلى التثقيف.

وإذا أخذنا في افتتاح المكتبات، فإن عليها أن تتخذ من الوسائل والطرق ما تراه كفيلا بازدياد استخدام الأفراد لكنها.

وإن لمكتبة المدرسة شخصيتها المميزة فإنها لا تتعامل فقط مع الأطفال الذين لديهم شغف بالقراءة، ولكنها تتعامل كذلك مع الأطفال الذين يقرءون بصعوبة.

وليس هناك غرض من الأغراض التعليمية أهم من تواجه إلى الكتب، حتى تنشأ بين الأطفال منذ حداثتهم وبين الكتب، صلة دائمة سعيدة، وليست مهمة الوالدين أو المدرسين مقصورة على تعليم الأطفال كيف يقرءون، بل الأهم من ذلك، جذبهم إلى القراءة.

ولا أهمية لكثرة ما ينشر من كتب للأطفال، ما لم يصل إلى أيدي الطفل.

وتواجه الآباء والمعلمين اليوم مسألة من أهم المسائل، هي كيف يجمعون بين عالم الأطفال وعالم الكتب، فالكتب تكلف نقودًا، ولا يستطيع شراء الكثير منها إلا عدد قليل من الأطفال. وكثير من الأسر تعيش بعيدًا عن مكتبات بيع الكتب، أو بعيدًا عن المكتبة العامة، فلا تستطيع إفادة أطفالها لا عن طريق الشراء ولا عن طريق الاستعارة.

هذا في حين أن أهم عامل في تكوين الاهتمام بالكتب، وتنمية عادة القراءة، هو سهولة الوصول إلى الكتب. والطفل الذي يجد صعوبة في الحصول على الكتب، لن يقرأ إلا القليل، وبذلك تبقى ميادين خبرته بالقراءة واهتمامه بها

أما الطفل الذي يكون له اتصال دائم بالكتب القيمة، فقد تهيأت له الفرصة لأن يجد في القراءة وسيلة من أهم وسائل النمو، واكتساب المعرفة، والترويح عن النفس.

ومتى أصبحت القراءة عادة، فإن الألفة مع الكتب تؤدي إلى ذلك النمط من المشاركة الذي قال عنه (هنري ميلر) إنه "عندما ينتقي الإنسان كتابًا، بأمل أن يجد فيه صديقًا يدخل قلبه، ويتجاوب معه".

إننا عندما نقرأ، نمر بكثير من الخبرات التي نتهيب أن نخبرها بأنفسنا، هذه القراءات تجعلنا نحلق في عالم هو مزيج من الفكر والأحلام، فتصبح حياتنا أكثر ثراء وبهجة. وقد نتوصل من خلال هذه القراءات إلى أسلوب في الحياة، يجعلنا أكثر قدرة على مواجهة المشكلات التي تعترضنا.

المكتبة وعادة القراءة:

وتنمية عادة القراءة لابد أن تبدأ في البيت، منذ السنوات الأولى في حياة الطفل. ومن الوسائل الهامة التي تلجأ إليها الأسرة لتنمية علاقة أطفالها بالكتب، هي أن تنشئ لهم مكتبة خاصة، يحفظون فيها كتبه، فتشجع فيهم الفخر بامتلاك الكتب، كما تعودهم كيف يحافظون على الكتاب وكيف يعاملونه باحترام. إن مكتبة الناشئ في البيت قد تكون صغيرة، وقد تكون عبارة عن رف واحد أو صندوق واحد، لكنها ملك له، تساهم في تكوين كثير من اتجاهاته نحو الكتاب.

فإذا انتقلنا إلى المدرسة الابتدائية، فإن كثيرًا من الأطفال الملتحقين بها لن يجدوا لهم موردًا غير المدرسة يحصلون منها على الكتب بانتظام، لهذا ينبغي أن يكون لكل مدرسة مهما كان حجمها، مكتبة خاصة، أو مجموعة من الكتب تستخدم في غرف الدراسة.

فإذا وجدت المكتبة، فإن علينا أن نجعل منها وسيلة تربوية، تعاون على تخريج شباب أسوياء الشخصية، متطلعين إلى المعرفة.

إن أهم أهداف المكتبة هو جذب الأطفال لاستخدام ما بها من كتب، خاصة هؤلاء الذين لم تتح لهم بيئاتهم أو أسرهم أن يتزودوا بالخبرات اللازمة للاستعداد أو التهيؤ للقراءة، وهذا يقتضي من المكتبة أن تتوفر فيها بعض الاعتبارات الهامة، وأن تلجأ إلى أساليب وطرق متعددة، تجذب الأطفال إلى الكتاب، وتحبب إليهم المطالعة.

كتاب جذاب:

وفي المكان الأول، إذا رغبنا أن يقرأ أطفالنا ما تحتويه مكتباتهم من كتب، فيجب أن نقدم لهم الكتاب ذا المظهر الجذاب.

لقد صدر في إنجلترا في سنة ١٩٣٨، تقرير تربوي عن استخدام الكتب، يقر أنه عندما سئل ٣٠٨٠ تلميذاً: "لماذا يختارون الكتب التي يختارونها من المكتبة العامة؟" أجاب ٥٠٨ منهم أنهم يختارونها: "لأن مظهر الكتاب يجذبهم".

وهذه هي قوة الجاذبية للطفل تجاه كتاب يبدو جميل المظهر.

إن هناك طبعًا اختلافات في الشكل بالنسبة للكتب التي تقدم لمختلف الأعمار، لكن بوجه عام، فإن الكتاب الذي يبدو مظهره جميلا طريفًا، سيجذب الطفل.

لذلك يجب أن يتأكد أمين المكتبة أن الكتب التي في مكتبته نظيفة سليمة، أنيقة جميلة. وعليه أن يعيد تجليد الكتب التي تفككت أو على الأقل يعيد تغطيتها بورق نظيف ملون.

كذلك يجب عليه تجنب تجليد كتب الأطفال بالأغلفة قاتمة اللون مهما كانت متينة.

كتب لكل الأعمار ولكل الاحتياجات:

ولا يكفي أن يكون الكتاب جذابًا، بل يجب أن يكون مناسبًا في موضوعه وألفاظه ورسومه لعمر الطفل الذي سيقرؤه. فكثيرًا ما ينصرف الأطفال عن قراءة كتاب جذاب إما لأنه لا يناسب إلا سنًا أصغر من سنهم، أو لأنه موجه لعمر أكبر من عمرهم. وتوجيه الطفل إلى الكتاب الذي يناسب عمره، توجيهًا حكيماً دقيقًا، هو أحد المهام الأساسية لأمين المكتبة، أو مدرس الفصل. إن اكتساب القدرة على اختيار الكتاب المناسب أمر يحتاج إلى خبرة لا يكتسبها

الإنسان إلا في سن متقدمة إلى حد ما. وإذا تركنا الطفل يتخبط حائرًا في أثناء بحثه عن الكتاب الذي يناسبه، فقد يصرفه هذا عن التعامل مستقبلا مع المكتبة.

كذلك يجب أن تواجه الكتب التي في المكتبة مختلف اهتمامات الأطفال واحتياجاتهم، فلا تكون مقصورة مثلا على القصص الأدبية والخيالية، بل لابد أن تحتوي أيضًا على القصص العلمية والتاريخية والجغرافية، وعلى كتب المعلومات، ودوائر المعارف والقواميس والأطالس الجغرافية، وذلك حتى يمكن أن تلبي كل احتياجات الأطفال من المادة المقروءة.

وإذا كان بعض الأطفال يقصرون قراءتهم كلها على ميدان واحد، فمن واجب المدرس أو أمين المكتبة أن يبذل ما في وسعه كي يدفع كل طفل إلى أن يقرأ في أكبر عدد من ميادين القراءة المناسبة للأطفال. ومن الأوفق أحيانًا ترتيب الكتب على الرفوف طبقًا لموضوعاتها وأن تتنوع الوسائل الجذابة لتلفت اهتمام الأطفال إلى الكتب ذات الموضوعات التي لا تثير اهتماماتهم عادة، وأن تنظم الكتب تنظيماً يسهل على الأطفال الوصول إليها.

مكان جذاب:

فإذا حصلنا على كتب جذابة، لكل الأعمار ولكل الاحتياجات، فلابد من إعداد مكان جذاب، يقرأ فيه الأطفال هذه الكتب.

إن المكتبة، كما يقول "كارنيجي": "أعظم بكثير من مجرد مجموعة من المكتب".

إن المكتبة يجب أن يكون لها جو عناصره: الهدوء– السعة– الجلال– الجمال.

إن المكتبة يجب أن يكون جوها منزليًا مريحًا، وألا يوحي هذا الجو بالفصل المدرسي. ويحسن أن يتكون أثاثها من مقاعد تتحرك كما يحب الأطفال، ويمكن أن تتخذ الشكل الذي نراه مناسبًا لطبيعة النشاط الذي يقوم به الأطفال في المكتبة.

كما يحب تزويد حجرة المكتبة بشاشات عرض، وفانوس سحري، وجهاز تسجيل، مع تزيينها بكثير من الصور والرسوم التي تجذب الطفل، وتجعله يألف المكان ويحبه.

مواعيد مناسبة:

ويحسن أن تستمر المكتبة مفتوحة في فترات معينة في غير أوقات الدراسة، والأفضل أن نسمح باستعمال المكتبة في جميع الأيام، ومعظم ساعات النهار، وبذلك تتهيأ للقراء فرص

متكررة للقراءة. إن هذا سيؤثر تأثيرًا قويًا. يشعر معه التلاميذ أنهم في منازلهم، وإذا أمكن فتح المكتبة في أيام العطلات الأسبوعية، فإن هذا يؤكد شعور الأطفال بالحرية في ارتياد المكتبة، ويمكن الاستفادة بهذه الساعات التي تفتح فيها المكتبة في غير أوقات الدراسة في القيام بأنشطة لاجتذاب الأطفال إلى المكتبة، تتضمن قراءة القصص، أو أداء التمثيليات، أو تقديم القصص بالدمى أو بشرائح الفانوس السحري، أو عرض الأفلام، أو أقامة المعارض.

ولكن، في نفس الوقت، يجب تخصيص فترات فسيحة كافية للقراءة الصامتة، بشرط أن يقوم المدرس أو أمين المكتبة بدور إيجابي في هذا المجال، فيسأل الطفل القارئ أسئلة بين حين وآخر حول ما يقرأ، أو يطلب منه الحديث إلى زملائه عما قرأ، أو أن يكتب موضوعًا لصحيفة الحائط عنه.

احترام الكتب:

وبالنسبة للأطفال الذين لم يتزودوا بالخبرة المنزلية في علاقتهم بالكتب، لابد أن نرشدهم، منذ بداية ارتيادهم للمكتبة، إلى وسائل العناية بالكتب، وكيفية استخدامها والمحافظة عليها.

يجب إرشادهم مثلا إلى عدم ثني الصفحات، وإلى عدم استخدام أدوات سميكة مثل المساطر كعلامة للصفحة التي وصلوا إليها في قراءتهم، وإلى توصيتهم بعدم الكتابة على الكتب، أو تركها مقلوبة.

إن الأطفال يحتاجون إلى التنبيه والمعاونة في حفظ اكتب منذ الوقت الذين يبدءون فيه استعمالاها. فالأطفال الصغار قد يعتبرون الكتب مجرد لعب، أما تلاميذ رياض الأطفال والمدارس الابتدائية، فسرعان ما يتعلمون أن الكتب تختلف عن ألعابهم، ولابد أن نعلمهم كيف يقلبون صفحاتها وكيف يحددون مكان صفحة ما، ولابد أن نبين لهم لماذا يجب الاهتمام بنظافة الأيدي وقت استعمال الكتب، ولماذا تكون إعادة الكتب إلى أماكنها الصحيحة أمرًا حسنًا.

تقديم الكتب للأطفال:

ولعل خير طريقة لتقديم الكتب الأطفال، هي الطريقة غير المباشرة. إن على المدرس أن يتحدث باستمرار في دروسه كلها، عن الكتب، مشيرًا إلى شخصيات فيها، ومناظر يمكن توجد بها، وأن يرشدهم إلى هذه الكتب التي تحدث عنها.

obeikandl.com

إن التقديم غير المباشر المستمر للكتب بمثل هذه الطريقة، هو أحسن الطرق الفعالة لتقريب الأطفال إلى الأدب الموجه إليهم.

إن مناقشة الكتب، والقراءة الجهرية، والدرس الجماعي للكتب، ومختلف أساليب النشاط التي تدور حول الكتب، كل هذا سيساعد الطفل الذي يبدي ميلا طبيعيًا تجاه الكتب، على أن يتجه باهتمامه إليها، مما ينمي فيه ميلا حقيقًا نحو القراءة.

ومن الوسائل التي تساعد على إثارة الرغبة في القراءة، إعداد قوائم كتب للقراءة الحرة، تشتمل على أسماء لبعض الكتب وتعريف بها، كما تتضمن أسئلة تدور حول موضوع الكتب. ويمكن أن تكون الإجابة عن هذه الأسئلة كتابة، أو على شكل مناظرة عامة يحضرها عدد قليل أو كثير من التلاميذ.

كذلك يمكن اجتماعات دورية يقدم فيها المدرس –أو أحد التلاميذ– حديثًا عن كتاب أو قصة، أو عرضًا لموضوع أحد الكتب بشرائح الفانوس السحري، أو الإعلان عن الكتب التي تم تقديم موضوعاتها أو قصصها في السينما أو التليفزيون أوالراديو.

إن إثارة الاهتمام المسبق بموضوعات الكتب، من أهم الوسائل التي تحفز الأطفال لأ، يبحثوا عن الكتب وأن يقرءوها باهتمام.

إننا بهذا نستخدم الوسائل السمعية والبصرية التي تعتبر في العادة عاملا يثبط همة الشباب عن القراءة، كوسيلة لإثارة التأمل والبحث والمناقشة وتبادل الرأي بين التلاميذ، وهو ما يؤدي إلى دفعهم نحو القراءة في مجالات جديدة، لمواصلة التفكير والمناقشة والبحث.

فإذا عرضت السينما المحيلة فيلمًا مثل دعاء الكروان لطه حسين، أو زقاق المدق لنجب محفوظ، فلابد أن نضع الكتب الأدبية الأصلية تحت بصر رواد المكتبة، وأن نطلب من بعضهم إعداد بيانات عن حياة المؤلف وبقية كتبه، وإجراء مناظرة أو مناقشة مثلا، في الفرق بين الفيلم والكتاب الأصلي.

وإذا قامت المدرسة بزيارة لمسرح لمشاهدة أحدى المسرحيات، فيمكن تقديم كتب مبسطة عن التمثيل والإنتاج المسرحي وتاريخ المسرح.

ويمكن استخدام نفس هذه الأساليب مع التمثيليات الإذاعية، أو بعض المسلسلات التي تقدم في التليفزيون.

كذلك يمكن البحث عن الهوايات المفضلة عند التلاميذ، سواء كانت هذه الهواية هي طراز الملابس عند الفتاة، أو المصارعة وكرة القدم عن الفتى، ثم إعطاء الطفل مادة القراءة الملائمة لهوايته.

إن على المربي أن يخلق الرغبة في الاستعلام، مستعينًا بالهوايات والأفلام والمادة الإذاعية والتليفزيونية.. وهذه الرغبة في الاستعلام ستخلق بدورها الحاجة إلى القراءة.

وهذا الربط الدائم بين الكتاب وما يعايشه الطفل في حياته، سيطبع في عقول الأطفال أفكارًا لن تزول حول فائدة الكتب لمواجهة مختلف الأغراض العملية في الحياة.

إقامة المعارض:

وجزء جوهري من عمل المكتبة هو إقامة المعارض، فالمعرض يمكن أن يستخدم لعرض محتويات المكتبة التي ربما لا تكون ظاهرة طالما في أماكنها على الرفوف. كما أن المعارض يمكن أن تساعد غير المتحمسين للقراءة على إعطائهم لمحة عن موضوع قد يصبح معه التلميذ قلقًا، فيسعى ليكتشف شيئا عنه عن طريق المطالعة.

إن عرض الكتب بعناية وبأسلوب جذاب، طريقة من أحسن الطرق لزيادة ما يقرؤه الأفراد بمحض اختيارهم.

مجلة الحائط:

ولمجلة الحائط أكثر من شكل. فهناك المجلة التي يكتبها الأطفال بأنفسهم، والتي تعتمد على المواد التي يقدمونها هم، من خبرتهم الخاصة، وبغلتهم وألفاظهم. وهذه من أهم الوسائل لتقوية قدرة الأطفال على التعبير عن أنفسهم.

وهناك صحيفة الحائط التي يمكن تقديمها يوميًا تقديمها يومياً من قصاصات صحف الصباح والمجلات الأسبوعية. فصحيفتان أو ثلاث من صحف الصباح يمكن غالبًا الحصول عليها بلا مقابل من أعضاء هيئة التدريس. ويمكن لأحد أعضاء هيئة التدريس أن يحدد المقالات والصور، في حين يقوم عدد من الأطفال الذين يحضرون مبكرين بتعليق المقالات والصور بدبابيس في اللوحة المعدة لذلك، وهي لوحة يمكن وضعها في أي مكان رئيسي موفور الإضاءة.

obeikandl.com

الدوريات:

ومن عناصر الجذب للمكتبة، تزويدها ببعض الدوريات الجيدة. فالطفل مثله في هذا مثل البالغ، يقبل على قراءة المجلات والصحف بشغف واهتمام، ولابد من تعريف الطفل بالجيد من الدوريات والصحف، فإن تشجيع قراءتها يضارع في أهميته تعريف الأطفال بالكتب الجيدة.

ويذهب بعض المربين إلى القول بأن المجلات تشجع التلاميذ على قراءة الكتب، والاهتمام بالهوايات والشغف بالأمور الجارية. لكن هناك آخرون يقولون إن الدوريات تجعل الطفل يضيع وقته بتركيز اهتمامه طول الوقت على الصور.

فكرة المشروع:

ولتشجيع القراءة، يمكن أن يقوم التلاميذ بعمل "مشروع"

ويمكن تقسيم المشروعات إلى ثلاث أنواع:

أولا: أن يتخلى الفصل كله أو المدرسة بأجمعها –لفترة ما– عن جدولها الدراسي، وتخصص نفسها لمشروع طموحات تدرس فيه موضوعًا معينًا، وتجمع عنه المعلومات، مع نبذ أساليب الفصل الرسمية كلية. ومثل هذه المشروعات تبدأ وتنتهي في المكتبة، باعتبارها المكان الرئيسي لجمع المعلومات حول موضوع المشروع.

ثانيا: يمكن تكليف مجموعة من التلاميذ يتتبع موضوع ما، كأن نكلفهم بدراسة المواصلات في فترة تاريخية معينة.

ثالثا: هنالك أعمال يمكن التلاميذ أن يقوموا بها فرادي أو في جماعات صغيرة. ومن الواضح أنه كل نوع من هذه الأنواع الثالثة للمشروعات، يجب أن تلعب المكتبة دورًا أساسياً.

أندية القراء:

ونادي القراء منظمة يؤسسها الطلاب أو أعضاء نادي الأطفال بمحض اختيارهم، فلا يشترك فيها إلا الأطفال الذين يرغبون فعلا في ذلك، ويحسن أن يكونوا في مستوى تعليمي واحد، وفي مستوى واحد من العمر.

obeikandi.com

ويمكن تكوين هذه الأندية في صورة جمعيات، يرعاها المدرسون أو أمناء المكتبات، ويمكن أن تتطور لتصبح أندية اجتماعية لمطالعة الأطفال، يرعاها الآباء وتجتمع في امنازل.

ويمكن الأطفال والمشرفون أن يبتكروا كثيرًا من الوسائل لأشكال النشاط في هذه الأندية، مثل القيام برحلات إلى أماكن أثرية أو متاحف، ثم البحث عن معلومات حول موضوع الزيارة. أو عقد ندوات مكتبية في يوم محدد من كل أسبوع، يعرض فيها طفل أو عدد من الأطفال مخلصاً لكتاب أو قصة ثم يتلقون الأسئلة حول ذلك الكتاب، أو إقامة المعارض أو صحف الحائط حول عدد من الكتب يدور حول موضوع معين.

وينبغي في اجتماعات أندية القراءة تشجيع حرية الكلام لدى الأطفال، كما ينبغي أن يشعر القراء بحريتهم في ذكر أسباب كرهم لكتاب أو سبب إعجابهم بكتاب آخر. كما يجب إتاحة الفرص الكافية ليتبادل الأعضاء الرأي فيما قرءوا.

وينبغي أن تتاح الأطفال فرصة الإصغاء إلى قرارات من الكتب القيمة أو الأشعار، ذلك أن تكرار الاستمتاع لأشعار وقصص يقرؤها شخص متمكن، يقربها إلى نفوس الأطفال، وينمي فيهم القدرة على التذوق.

كذلك يمكن تكليف الأطفال صغار السن القيام بأعمال يدوية بسيطة، مثل الختم بخاتم المكتبة على المجلدات الجديدة، ووضع الكتب في أماكنها.

أما الأطفال الأكبر سناً، فيمكنهم القيام بأعمال كتابية، مثل عمل بطاقات الاستعارة، وتتبع الكتب التي فات ميعاد إرجاعها.

ربط القراء بمختلف الأنشطة الفنية:

ومن أهم الوسائل لربط الأطفال بالمكتبة والقراءة، أن نربطهم ما قرءا بالرسم واللعب، بالتمثيل وبالأغاني وبالموسيقى. فيرسمون موضوعات يختارونها من وحي الكتب التي طالعوها، أو يؤلفون تمثيلية مستمدة مما قرءوه، أو يقدمون بالعرائس أحد المشاهد التي أثارت اهتمامهم.

كذلك يجب تشجيع الأطفال على أن يضعوا أشياء من إنتاجهم في غرفة المكتبة. فرسومهم يبج أن تكون على الجدران، وصحف الحائط التي كتبوها تكون في اللوحة المعدة لها، أو يقوم الأطفال –الأكبر سنًا– بمعاونة من هم أصغر منهم في مختلف مجالات القراءة والاطلاع.

خلاصة:

إن هناك من يتصورون أن عملية نشر كتب الأطفال يجب أن ترتبط بارتفاع القوة الشرائية للأفراد، لكن هذا غير صحيح، فالمكتبة ستظل هي المصدر الأساسي لمعظم الأطفال في الحصول على الكتب التي يحتاجون إليها، لكن المكتبة ليست رفوفًا أو مخزنا للكتب، بل هي نشاط دائم مستمر، هدفه الأول جذب أعداد جديدة من القراء الصغار إلى عالم القراءة السحرية، فلتفتح للأطفال مكتبات حيثما أمكن ذلك، ولنوجه كل جهودنا نحو تحبيب القراءة إلى الأطفال عن طريق مختلف المكتبات منزلية ومدرسية أو مكتبة الحي..

obeikandl.com

فهرس

مقدمة: الطفل والقراءة ٦

سلوك الأطفال نحو الكتب ١٠

القراءة مجموعة مهارات..... ١٦

ما بعد تعلم القراءة..... ١٨

أطفال لا خبرة لهم بالكتب ٢١

ماذا تقدم للقصص للأطفال..... ٢٣

كيف نحكي قصة ٢٩

الدور التربوي لمجلات الأطفال ٣٥

مواصفات مجلة أطفال..... ٣٧

أدب الأطفال وعقدة شهريار..... ٤٣

الواقع الفعلي لمجلات الأطفال ٤٦

الطفولة والبطولات القومية ٥٠

رسوم كتب الأطفال..... ٥٩

المكتبة وتنمية عادة القراءة..... ٧٣

obeikandi.com

رقم الإيداع	٢٠٠٥ /٥٨٣٨
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-6792-5

١٤/٢٠٠٥/١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

obeikandl.com